وتتلاشى
الجزء الأول
هديل قاسم
مجموعة قصصية

# وتتلاشى – الجزء الأول

مجموعة قصصية

هديل قاسم

1437 هـ - 2016م

تدقيق: سامي عواودة

جميع حقوق الطبع محفوظة للكاتب

يمنع نسخ أو إستعمال اي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية وميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر .

# الفهرس


| القصة | رقم الصفحة |
|---|---|
| المَّرة الآخيرة | 3 |
| حرمان | 11 |
| **وبصري الآن أنت** | 17 |
| **ولدائي لا يوجد دواء** | 26 |
| **روح وأنـــــيـــــن** | 33 |
| **هيَّ وطني** | 40 |
| **ولأنني أحبها** | 45 |
| **روتين** | 50 |
| **وعن حواء** | 57 |

# المَّرة الآخيرة

**كانت تتعمق في كل شيء، تنظر للطيور وتتساءل كيف تطير؟ وماذا يختبئ خلف هذه السماء الزرقاء؟ تفكر بعمق في كل شيء، مع أنها لم تتجاوز العاشرة من عمرها حينها، كانت تقول لنفسها: " سأصبح شيئا عظيما "**

**ولم تكمل كلامها، حتى قاطعها والدها ليعطيها بعض النصائح، هذه وصيتي لكِ بنيَّتي:**

**"الحلم هو حلم حتى ولو أصبح حقيقة، وما تطمحين له لا تتراجعي عنه أبدا ، وإن سلبت الحياة منك أكثر من ما تقدمه لك ، لا تبكي ولا تيأسي ولا تستسلمي ... "**

**تحدق بوالدها وكأنه يتكلم لغة غريبة عنها، لا تفهم ما معنى هذه الكلمات،أمسكت بورقة وقلم وكتبت ما قاله لها والدها،وتلك كانت آخر ليلة ترى والدها بها !**

**ألقت بها الحياة وحيدة، لا أب يقف بجانبها ، ولا أم تشعرها بالحنان، ولا أخوة، جردتها من كل شيء ، من عاطفتها، وإحساسها وبالرغم من ذلك كانت قوية ، قوية جدا.**

**حينها انتقلت للعيش في منزل خالتها، كانت خالتها امرأة طيبة، وتهتم بها جيدا، في يوم وهي في طريقها للمدرسة التقت بفتيات يقمن بالتدخين قالت لنفسها:**

**" لماذا لا أقوم بتجريبه "**

**قامت بأخذ سيجارة منهن، أشعلتها ومع أول نفس سعلت كثيرا، وشعرت بضيق في التنفس، وبالاشمئزاز من رائحتها، وعادت لمنزل خالتها، عندما وصلت اشتمت الخالة رائحة السجائر العالقة على ملابسها، وهمت بضربها لكي تلقنها درسا لتبتعد عن التدخين، لكن لم تقل لها لماذا، ولم تشرح لها ما السيئ بالتدخين .**

**كبرت مرام ، وكبرت برأسها الأمور السيئة، أصبحت تعشق كل شيء يضرها، تعرفت مرام على فتيات سيئات للغاية، من تدخين ، وعلاقات مع الشباب وكل شيء يمس بالسيئات بصلة، كانت هي أفضلهن، لكن سعيدة برفقتهن، وأصبحت تتماشى معهن في طريقة اللباس، والتصرفات ، والأكل، والشرب...الخ**

**لكن الفتيات لم يكُنَّ من طِينة مرام، وبعيدات جدا عنها، لكنها أصرت بأن تفعل مثلهن، تسرق من خالتها لتشتري قميصا غاليا، تسرق من زوج خالتها لتقدم لصديقتها علبة من السجائر، أدركت خالتها ذلك فقامت بضربها وحبسها في البيت ، وقالت لها :**

**" أنتِ عمرك 16 سنة، بدك تديري بالك على دراستك وبس، وبدك تفهمي أنه الحياة مش هيك ... "**

**قامت مرام بتدوين كلام خالتها مرة أخرى ، ووضعته بجانب ورقة كُل من أبيها ، أمها، إخوتها، فأصبح لديها أربع ورقات .**

**دخلت غرفة خالتها، كانت خالتها قد فارقت الحياة، بكت قليلا، وانتظرت حتَّى يأتي زوج خالتها ويطردها من المنزل، وبالفعل انتقلت مرام للعيش في بيت عمها، وقالت :**

**"عشرون يوما وسوف يتوفى عمي ، لكنني لست متأكدة من وصيته، أنا كل شخص أدخل بيته أو أعرفه يموت، أشعر بأنني نحس ، مصدر شؤم للآخرين "**

**لكن العيش في بيت عمها كان بمثابة جهنم التي لم تحسب حسابها من قبل، كان لديها ابن عم يكرهها كثيرا، وكل مرة يراها يشتمها، وتبقى مرام صامتة ولا تفعل له شيئا، استيقظت مرام في ذلك اليوم وفي نفسها قرار بأن تدخل غرفة سامر، دخلت الغرفة**

**ووجدت بها عطورا ثمينة وجميلة، قامت برمي العطور على الأرض أغلقت باب الغرفة وخرجت .**

**وبينما كانت تغلق الباب، رآها ابن عمها ،ثمَّ وقف في وجهها وبدأ يصرخ عليها : " شو فوتك على غرفتي ؟ "**

**أجابته بكل برود : " كسرت عطورك " .**

**دخل إلى غرفته مسرعا وجن جنونه حينما رأى زجاجات العطر على الأرض، فخرج ليقُم بضربها، فأمسكت بيده وقالت:**

**" كسرت قلبي وقلبي مش أغلى من عطورك ! "**

**لكنه كان فظا للغاية ولم يعتد على احترام أحدهم ، قام بضبها ، لكنها لم تبكي، دخلت إلى غرفتها، وكتبت ورقة وهذه المرة كانت إليه، وجلست تنتظر الليل، ألقت بالورقة من أسفل الباب ، دقت الباب مرتين وهمت بالهروب .**

**استيقظ سامر على صوت دقات الباب، وجد رسالة مكتوب بها "مرام "**

**غضب كثيرا لأنه يكره اسمها، وذهب لأمه وقال لها :" يا أنا يا هالقردة بالدار "**

**وعندما أنهى حديثه مع والدته، عاد إلى غرفته ليجد أثمن ساعة عنده قد تحطمت !**

**نظر إلى مرام بغضب وأشار بإصبعه عليها " أنتِ من قمتِ بتحطيمها " ، فلم تنكر ذلك، وقالت : " في كل مرة تجعلني أحزن، سأحطم لك شيئا غاليا على قلبك "**

**علا صوت صراخهم ، فأتت زوجة عمها تصرخ عليها وتشتمها، إلى أن استيقظ عمه قائلا :" شو فيه ؟ "**

**نظرت مرام إليه وقالت: " سامر كسر ساعته ويتهمني بذلك "**

**نظر كل من سامر وأمه إليها بتعجب واستغراب، وأصبحت زوجة عمها تصرخ وتقول : " كذابة ، كذابة ... "**

**فإذ بمرام تبكي بصوت عالٍ ، اعتادت على أن البكاء هو حبلُ النجاة، وبأنها حينما تبكي ذلك يعني بأنها مظلومة ، هرولت إلى حضن عمها، وقالت : " أبوي مات وما إلى حدا "**

**شعر عمها بالحزن عليها، احتضنها وعاتب سامر على فعلته وقام بطرده من المنزل .**

**قالتها بينها وبين نفسها : " بستاهل هالحيوان "**

**ودخلت لتنام بغرفته، في اليوم التالي وهي في طريقها للمدرسة، التقت بسامر في الطريق، كانت ترتدي سترته فوق زِيّها المدرسي، نظر إليها بغضب : " ولك انتِي شو "**

**أجابته ببرود : " قدرك "**

**أكملت سيرها، وبدأ سامر بالركض خلفها يشتمها ويهددها، لكنها لم تكترث له، التقت بصديقتها، كانت الأسوأ من بين رفيقاتها، صافحتها وانتشلت من بين يديها علبة سجائر..**

**فكر سامر مليًا " لا شيء سيكسر رأس هذه الصغيرة سوى تهديدها "**

**ما أن وصلت مرام المدرسة، حتى سمعت المديرة تناديها، أمسكت بحقيبتها وبدأت تفتشها، فوجدت علبة السجائر، غضبت المديرة وقالت لها : " عليكِ إحضار ولي أمرك**

- " ليس لي أحد "

- "إذا لا تعودي "

وبالفعل كان هذا آخر يوم لمرام بالمدرسة، عادت إلى بيت عمها وأخبرته بأنها قررت العمل ولن تعود مجددا للدراسة، رفض عمها ذلك، لكنها كانت عنيدة وفعلت ما برأسها.

قالت : " سأبيع الحلويات ! "

أصبحت كل يوم تدخل للمطبخ وتصنع الحلويات وعندما تنتهي تذهب بجولة بين الجارات لتبيع الحلوى لهن .

لم يكن الأمر يروق لزوجة عمها، ودائما ما كانت تحاول أن تصنع المكيدة لها، وسامر يضربها كل يوم، لكنها لم تشتكي عليه ولو لمرة، كانت تنتقم بطريقتها فقط .

باتت مرام لا تكلم أحدا، تصنع الحلويات وتبيعها فقط، وكأنها بكماء، لكن سرعان ما تبدل حالها عند أول عرض عمل قدمه لها صاحب مصنع للحلويات، لكنها رفضت ذلك، وأكملت مشروعها لوحدها، بدأت تقتنع امرأة عمها بموهبتها، وسامر لم يعد يضربها، وقد بدأ يشعر بالقلق عليها، في يوم دخل على المطبخ وسألها لِماذا لم تعد تتكلم كالسابق، لم تلتفت له، أصبحت كالآلة .

قال لها بصوت خافت : " أنا أحبك "

تابعت عملها وكأنها لم تسمع شيئا.

صرخ بصوت عال : " مراااام أنا أحببببك "

لكنها لم تبادر بأي ردة فعل .

**وفي اليوم التالي ذهبت مرام وتركت خلفها خمس رسائل، وقميصا لسامر، ونقودا، رأى سامر ذلك وبدأ يصرخ : " مراااام راحت " ، أمسك بالرسائل وبدأ يقرأ .**

**الرسالة الأولى من أمها، الثانية من أبيها، الثالثة من عمتها، والرابعة من إخوتها .**

**لكن في الورقة الخامسة، بدأ سامر بالبكاء حينما قرأها، فكان مكتوب فيها :**

**" كل مرة كنت أكتب اللي بحكيلي اياه حدا أمي أبوي أخوتي عمتي، ونصائحهم بالحياة وكانوا يموتو بعدها . أنا هالمرة بدي أقدم نصيحة بلكي متت أنا ..**

**الحياة ظلمتني من أنا وصغيرة لما وعيت على حالي بدون ولا حدا بس بعدها بلشت أنا اظلم حالي بصاحباتي وبالدخان وبكل شي سيء ، بس أنا بستحق فرصة جديدة بشي بحبه لهيك عملت كيك الكيك كان سيء كثير، بس نجح ، لأنه جاهز أنا كنت اشتري جاهز،وأغير علي شوي وأبيعه لهيك أنا رفضت اشتغل بالشركة، لأنه هناك رح يكون في رقابة ورح أغش، وأنا قررت أبلش بداية جديدة ...**

**سامر، أنا بحبك كمان، وأنت كل ما كنت تضربني أنا كنت اضرب إشي بتحبه لأنه عارفة أنك آخر هالقصة رح تحبني، حسيت بوجعي صح .**

**فوت على غرفتك رح تلاقي شي كمان كثير بتحبه راح بس هالشي هو أنا وهيك بكون انتقمت فعليا منك**

**سلام يا حلو "**

**غضب سامر كثيرا، وبكى كثيرا، خرج ليبحث عنها في كل مكان، لكن مرام اختفت، ولم يعلم أحد شئا عنها بعد ذلك، وتلك الليلة كانت المرة الآخيرة التي رآها فيها.**

**وليست هذه القصة سوى واقعا نعيشه، نحن نلقي كل شيء على أشخاص آخرين، ذنوبنا وأخطاءنا ومشاكلنا، وحتى حينما نبكي، نبكي من أجل أحدهم، العائلة التي خسرتها مرام، هي الأثمن عند أي شخص بنا، ولا نستطيع أن نكمل حياتنا بدونها، أو نظن بأننا لن نستطيع أن نكمل بعدهم، وكثيرا من أولئك الذين يقدمون لنا نصيحة، ويموتون بعدها، لكن ليس الموت الذي يعني انتهاء حياتهم وذهابهم للقبر، لكن تموت الأجساد وتبقى الفكرة، وتبقى أنت وحدك من تؤمن بها، لأنك على قناعة بأنك ستستمر بها.**

**أحب سامر بطلة مرام، لكنه بالبداية قام بتعذيبها وتمرد عليها، وأخطأ بحقها كثيرا، ولذلك خسر شيئا جميلا ،ولعله قد يكون الأجمل في حياته .**

**مرام هي الضمير الذي بداخلنا، الذي يصنع السيء والجيد، ويتخذ قرارات ويتهرب أحيانا، ولعله قد يموت، وحينها سنبحث عنه في كل مكان ولم نجده أبدا.**

**علينا أن نكون واقعيين، أن نبقي ضميرنا مستيقظا، ولا نبكي ونندب الحظ فقط ، علينا أن نحيا من أجل أنفسنا، ومن أجل من يستحقنا فقط.**

# حـرمــا ن

هذه أصعب لحظة في حياتي، أنا حامل وللمرة الثالثة، في كل مرة أعلم بحملي كنت أصاب بالرعب، وأقول لا أريد المزيد من الأبناء؛ لأن جميعهم يشبهون أبيهم وأنا أكرهه، هو شخص سيء جدا، وغالبا ما يقوم بضربي، أفكر حاليا بتسميم نفسي والانتحار والخلاص من كل هذا العذاب، أو أن ألقي بنفسي من على السلم، كل ما يهمني ألا يأتي هذا الطفل على هذه الدنيا، كنت حينها أجلس على سطح منزلنا، وقفت على حافة السطح لنية أذية نفسي، جاء زوجي وأمسك بي وبدأ يصرخ ويعاتبني، وحينها أرسلني إلى بيت أهلي برفقة أطفالي .

لا أعلم حقا ماذا يحدث معي، حينما أدخل بيت أهلي أحب أطفالي، وأحب الطفل الذي في بطني، لكن في بيت زوجي أكرههم .

كلما كانت تراني أمي، تنهال علي بقراءة المعوذات والبخور، وكأني ممسوسة بالجن، لكنني لست مسحورة، أذكر قبيل الزواج بخمس سنوات، كنت حينها في سنتي الدراسية الثانية بالجامعة، أجلس أنا ورفيقاتي ونتبادل القصص ونضحك، ونتخيل أنفسنا أينما سنكون بعد خمس سنوات، جميعهن تخيلن أنفسهن ربات بيوت وأمهات إلا أنا قلت لهن : " لا أريد الزواج وقضاء ما تبقى من عمري وأنا اركض خلف أبنائي :

نظرت لي رنا حينها وضحكت : " آخرتك لبيتك يختي "

مضت سنة وأنا ما زلت أرفض أي أحد يتقدم لخطبتي؛ كي لا تصدق رنا !

حتى ذلك اليوم ، حينما تقدم شاب نحوي وطلب بأن نتعرف على بعضنا البعض رمقته وقلت: " أختك بتتعرف على شباب عادي "

نظر إليّ مطولا وقال : " ما عندي خوات ، ممكن نتعرف "

- " بديش اتعرف يخي حل عني "

كان بحوزته زجاجة ماء فارغة قام برميها نحوي وهم بالهروب

كم هو نذل !

مسكت حينها الزجاجة ورميتها نحوه، ولسوء حظي اصطدمت الزجاجة برأس دكتوري بالجامعة، أصبح وجهي ملونا، وتلعثمت بالحديث، وبدأت دموعي تنهار، حينما أدار الدكتور رأسه لينظر من فعل هذا العمل، كانت عيناه تقدح شرارا، بلمح البصر رأيت الشاب أمامي، تشنجت في مكاني، وهو يحدث الدكتور: " آسف دكتور أنا رميتها بالغلط "

ماذا فعل هذا المجنون، سينال عقابا وخيما وخاصة أن الدكتور يكرهه !

نظر إليه الدكتور بغضب وصرخ " تعال معي "

حينها تصرفت تصرفا نذلا وقلت : "جد عيب عليك لي ترميها على الدكتور "

لا أعلم حقا لما تصرفت هكذا، قام الدكتور باصطحابه إلى غرفة الأمن ، وأنا ما زلت أبكي، عاد الشاب بعد قليل، وقال : " فوق ما دافعت عنك .. اتحيونتي وورطتيني ، هيني انفصلت هالفصل ارتاحي رح تندمي"

فُصل الشاب من الجامعة وأنا لم أكن اعلم شيئا عنه حتى اسمه، الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل هاتفني رقم غريب، بالعادة لا أجيب على هذه الأرقام، رفضت المكالمة وأكملت نومي ، وصلتني رسالة " ولي حيوانة ردي ..."

حينما رأيت كلمة حيوانة اعتقدت بأنه واحدة من صديقاتي فهاتفت الرقم لكنه أجابني صوت شاب شعرت بالصدمة .

- " مين أنت "

- " معجب "

أغلقت الهاتف بوجهه ،لكن استمر في اتصاله يوميا وإرسال الرسائل، بدأت أعتاده رويدا رويدا وأشعر بالرغبة بالحديث معه، كان شخصا جيدا، لكن صوته غريب وهو غريب، دامت معرفتنا حوالي الستة شهور، وقرر بعدها بأن يصارحني بشيء، وكانت أول صدمة في حياتي .

بينما كان يعترف لي تغيرت نبرة صوته إلى صوت ناعم، أصبح صوت فتاة

قلت : " آلو من معي "

قال : " أنا رنا صاحبتك ... تراهنت مع البنات أنه إذا حكيت معك على أساس إني شب رح تحكي معي وتحبيني، أنا بعتذر عنجد ، ما كنت بدي نضل هيك ، بس سحبت بالمقلب ، وتراهنت أنا والبنات على كثير شغلات "

تجمدت في مكاني، اختفت الكلمات، ماذا أفعل أشتمها، أم أشتم نفسي الغبية أم ماذا ، بعد تلك الحادثة استاءت حالتي النفسية كثيرا، ولم أعد أدرس، ورسبت بامتحاناتي، حتى تذكرت ذلك الشاب المسكين الذي فصلوه بسببي، يجب علي الاعتذار منه، ذهبت وسألت عن اسمه عند الأمن فأعطوني معلومات عنه، اسمه جواد يسكن بقرب الجامعة ولديه " بوتيك" ملابس .

سأذهب إليه وأعتذر منه، حينما رآني أدخل قال : " أهلين بالشريرة "

قلت " أنا آسفة "

- " على شو"

- " بسببي انفصلت وجد ما كان قصدي ..."

- " لا مش مشكلة "

بعد ذلك اليوم أحببته وأحبني، وقام بالتقدم لخطبتي من أهلي فوافقت .

لكن قبل زفافنا بيوم، حدث شيء جعلني أكرهه ، كنت حينها جالسة على حاسوب جواد، وكان الفيسبوك خاصته مفتوحا ، فتحت الرسائل، فوجدت رسائل بينه وبين رنا، بدأت أعود لوقت أقدم بالمحادثة بينهم، وأرى خططهم حينما كانت تحدثني رنا على أساس أنها شاب، اكتشفت بأنني كنت أحدثه طوال الفترة تلك، وبأن رنا حدثتني فقط يوم اعترافها بالمقلب، وما هي سوى خطة منه ليكسر أنفي ويكسرني .

كل شيء كذبة، إذا لماذا أحبني وقام بخطبتي وغدا موعد زفافنا ؟ بقيت طوال الليل أحدق بسقف غرفتي وأبكي، استيقظت صباحا رافضة لأن أذهب لصالون التجميل، وأقول لا أريد الزواج منه، بدأ أبي يصرخ بوجهي : " بدك تفضحينا "

وأمي هددتني بأنها ستتبرأ مني !

استسلمت لقدري وذهبت للصالون ومن ثم للزفاف ،كان يتكلم معي وأنا اشعر بالاشمئزاز تجاهه وكأنه شيطان ، كرهته !

تمت مراسم الزفاف ، ومر شهران وأنا لم أحدثه بالموضوع، هو لم يحبني، تزوجني لأنه وجدني فتاة جيدة وحسب !

أصبح يقضي معظم وقته خارج المنزل ويتأخر كثيرا بالليل ، ويصرخ بي ليلا ونهارا ،حتى أصبت بالانهيار يوما وقلت له كل شيء، بأنني على علم بخطته هو ورنا، وطلبت الطلاق منه !

لكن للأسف لم يكن القدر بصفي، وعرفت حينها بحملي ، وأنجبت أول ولد ، وأصبحت الأمور تتعقد بيني وبينه أكثر فأكثر، والانفصال أصبح أصعب بكثير، وأنجبت الثاني، وهكذا اضطررت لأن أبقى معه، مع أنني اشعر بالكره نحوه،

رن هاتفي ذات يوم : " من ؟

- " زوجك انتحر "

سقط الهاتف من يدي، ولم أنبس ببنت شفة

كنت دائما أتمنى موته، لكن ليس بهذه الطريقة، صرخت فركضت أمي صوبي

- " ولك شو في مالك "

- " جواد ج ج ج واد "

- "ماله؟ "

- "انتت انتحر "

حينها دق جرس المنزل، سمعت سامر يقول: " أجا بابا "

شعرت بالصدمة وركضت نحوه ...

كان حقا جواد !

- " أنت ما انتحرت "

- " وبعدين معك أنت ، شو انتحرت ما انتحرت"

للآن لم أعلم من حدثني حينها، ذهبنا للبيت، جاء في الليل وهو يحمل سكينة بين يديه يريد قتلي بها !

أصبحت أصرخ، لكن لم يسمعني أحد، سوى هو كان بجانبي ويقرأ علي المعوذات ، كان حلما !!!

قال لي : " ولله بحبك .. حرام عليكي تضلي تعملي هييك أنا صح بالأول كان مقلب، بس حبيتك ... وجيت لأخطبك، بكفي تعملي هيك، صار عنا ولدين ولليوم بتعاملليني كأني غريب وبعرف انك بتكرهيني انا فيكي لقيت العيلة .. العيلة الي بدور عليها من زمان أنا ما الي غيرك "

واستطرد حديثه قائلا :

" بس انتي كرهتييني كل شي وكرهتيني حالي، خليتني أتعامل معك بهالطريقة ، أنا شو اعمل لتحبيني "

- " بتقدر ترجع أيام عمري الي ضاعو"

- "ما بقدر أرجعهم بس بنعيشهم من جديد ، أنتِ حب حياتي "

ومنذ ذلك اليوم تغير كل شيء وأصبحت حياتنا أجمل وأجمل .

في كثير من الأوقات تحدث معنا مواقف تجعلنا نكره شخصا ما، وحينها يصعب الاقتناع بأن هذا الشخص يحبنا فعلا، أو أنه شخص جيد ، السواد يملأ قلوبنا، والحقد يخيم عالمنا، ولا نتذكر سوى الأمور السيئة التي فعلها معنا، قد نضحي ونكمل أيامنا معه، ونعيش ونحن غير مقتنعين بهذه الحياة، لكن الأمور دائما ليست كما نراها، كل شخص يستحق فرصة، فرصة كي يكون شخصا جيدا، ويقوم بتصحيح أخطائه، قد يحبنا شخص ما، لأننا الحياة بالنسبة له، لكن أفعالنا تجعله يبتعد ويصبح شخصا سيئا بحقنا !

# وبصري الآن أنت

- " على فكرة شنطتك حلوة "

- " ها والله !! "

- " مالك بتضحكي ؟ "

- " ولا إشي بس أنا ما بشوفها حلوة "

- " هالعيون الحلوين مش شايفين شي أحلى منهم "

- " لا جد عيوني حلوين كمان ما بشوفهم "

لم يكن يدرك حينها بأنه يتكلم مع فتاة قد فقدت بصرها منذ الصغر, وبأنه يتغزل بشيء لم تره من قبل، ولم يكن يغازلها حبّا بها، بل يغازلها كأي فتاة تمر في طريقه، لكن هذه المرة الأولى التي يرتبك بها, ولا يعلم ماذا يقول، هذه أول فتاة يغازلها وتبقى تشغل تفكيره .

يحدث نفسه في السيارة " لماذا لم تعرني أي اهتمام, حتى أنها بادلتني كلاما غريبا " ، يهاتفه صديقه :

- " شو أبو الشباب , وينك مش مبين "

- " يلا الليلة جاي عندك, ولك في بنت جننتي ومش عارف أوصلها "

- " يلا أبو شريك بندبرها الليلة "

يغلق هاتفه ويستعد لمقابلة صديقه، يصل إلى بيت صديقه، فيقول له صديقه على الفور "

" ولك شو فيه أول مرة بشوف بنت شاغلة تفكيرك ؟

فيخبره ماذا حصل بينهما ....

- بتثقل عليك, مثلها مثل غيرها يومين وبتحبك "

- " أه أكيد رح يصير هيك "

يـذهـب في اليوم التـالي الى الجامعة, يجلس على مقعد مجاور لمقعد كانت تجلس عليه، لم تعره أي اهتمام, يغضب كثيرا " شو مفكرة حالها هاي "

يهاتفه صديقه : " آه شو أبو شريك زبطت البنت ؟ "

- " ولك زبطت هيها ما شالت عيونها عني "

- " قدها يا صاحبي "

يتعمـد المرور من أمـامهـا حتى تنتبـه لـه، لكن مـا زالت لا تنظر إليه، فيقول لها : " طيب على القليلة صبحي علي "

- " صباح النور بس ما شفتك "

- " آه أنتي دائما مش شايفة "

تتحول ابتسامتها إلى خط منحني للأسفل " شكرا لك "

- " لا تزعليش بمزح "

تأتي صديقتها وتمسك بيدها وتذهبان بعيدا

- " شو مالك زعلانة "

- " لا بس واحد بحكيلي أنتي دايما ما بتشوفي "

- يا روحي لا تزعلي هاد حيوان الله يلعنه "

لم يكن يدرك يزن بأن مرام لا تراه حقا, بل كان يراها فتاة مغرورة وعنيدة ولا تبادله الإعجاب، أصبحت من قائمة " بدي أجيبها ولو شو ما صار "

يتبادل يزن مع أصـدقائه القصص عن مرام, يخبرهم كم هي جميلة ومعجبة به, يؤلف القصص الكثيرة عنها، في المساء يأتيه من صديقه .

- " اه يزن شو صار مع البنت, أخذت رقمها ولا لسه "

-" لا لسه ما بعرف رقمها, بس بكرا رح أجيبه "

- " طيب أزبطلك إياها وأشوف وضعها "

-" لا هاي البنت تقربش عليها "

- " شووووووو أبو شريك بشوفك وقعت وما حدا سما عليك "

- " خلص اختصر بدي أروح هلئ "

في الســابق كان يتبادل الفتيات مع صــديقه حســن ولم يكن يهتم لهن كثيرا, هذه المرة الأولى التي لا يريد من أحد أن يقترب من فتاة يعرفها .

في ذلك النهار تذهب مرام للبيت باكية, وتخبر أمها ما حدث معها وتصــبح تصرــخ لماذا أنا ولـدت عمياء ؟ لا أســتطيع أن أرى شــيئا, وعادة ما يخطئ الناس بالحديث معي، تقوم أمها باحتضانها وتقول لها : " لكننك ولدْتِ من أجمل الفتيات"

- " وشو فايدة الجمال إذا أنا مش شايفيته شو يعني جمال أصلا "

فيحترق قلب أمها عليها بعد سماعها هذه الإجابة .

في اليوم التـالي ترفض مرام الـذهـاب إلى الجامعة, ويذهب يزن ولا يجدها في المكان الذي اعتاد أن يراها فيه، يبحث عنها في الجامعة, وما أن يلتقي بصديقتها حتى يركض إليها

- " هاي البنت إلي بتكون قاعدة معك , وينها ؟ "

- " اه قصدك مرام "

- " اسمها مرام "

- " شو بدك منها "

- بس بدي رقمها لأنه نسيت معي دفترها "

- دفترها !! بس مرام ما بتكتب "

تجلس مرام على جهاز بريل وتبدأ بالكتابة، كم من الصـــعب أن يراك الآخرون ولا تســـتطيع رؤيتهم, البارحة قد صـادفني شـابٌ أخبرني بأن حقيبتي جميلة , وأنا لا أراها, واليوم صـادفني ثانية وقال لي : " أنني دائما لا أرى " ، حتى أنه قد تغزل بعيني اللواتي لم أرهن بحياتي .

كم هي مؤلمـة تلك الحياة, حينما تحرمنا من النظر إلى ما ينظر إليه الآخرون، أعيش في ظلمة ليلا ونهارا, وأبتسـم وأدرس في جامعتي ولا يعيقني شيء سوى المتطفلين الذين غالبا ما يعكرون صـفو نهاري، حينما أصـطدم بأحدهم ويقول لي " أنتي ما بتشـوفي " ، أو حينما يأتيني شـاب ويقول لي : " أنتي ليه بتضـلي تطلعي علي " . كل شيء من حولي يضـايقنيني، كم مؤلمة هذه الحياة .

يزن لم يكمل حديثه مع صـديقة مرام ,اكتفى بشكرها وذهب, على أمل أن يلتقي بها في اليوم التالي، بالفعل رآها في اليوم التالي تجلس وحيدة وحزينة, اقترب منها وقال لها :

" أنا بعتذر عن أول إمبارح يمكن ضايقتك "

- " لا متعودة على الزنخين "

- " قصدك أنا زنخ "

تصمت مرام .

فيخبرها : " على فكرة أنا طلبت رقمك وما أعطتني إياه صـاحبتك , بتعطيني إياه ،أو إذا عندك فيسبوك نحكي عليه "

- " بس أنا ما عندي فيسبوك وما بعرف شو هو "

- " يااااا هاد إنتي من العصر الحجري "

- " لا أنا من عصر إلي ما بشوفه "

- " خلص عاد ما أنا اعتذرت وحكيتلك ما كان قصدي شي "

- " كأنه أنت مش ملاحظ إنه أنا عميا وما بشوف ! "

- يضحك يزن بصوت مرتفع " ولك حكيتلك مش قصدي إشي بلا لئمنة "

- " أنا بحكي جد يااه , خلص خليني أروح بكفي مسخرة "

تـأتي صـــديقتهـا وتذهب معها, لم يدرك يزن بأنه قد جرح مرام كثيرا, ولم يصـــدق حتى أنها عمياء, تفكيره الساذج لم يسمح له بأن يفكر ولو بقليل لماذا تفعل هكذا .

تحدثها صديقتها : " شو مالو رجع يضايقك "

- " لا بس شكله مش عارف إني عميا "

ما أن توصل مرام للسيارة حتى تذهب لتعاتبه .

- " على فكرة أنت واحد ما بتستحي وعيب إلي بتعمله "

- " وأنتي مين بلا صغرة "

- " يعني ما عندك إنسانية حتى تجرح بنت عميا شو بدك فيها "

يصاب يزن بالصدمة من كلام صديقتها ، فيقول لها : " لا أكيد بتمزحي والله ما بعرف "

ذهب يزن للبيت غاضـبا, وبدأ بلوم نفسـه على كل شيء قد فعله, فيحتقر نفسـه كثيرا, ويقرر أن يكون رفيق مرام .

في اليوم التالي ذهب يزن وجلس بجوار مرام .

- " على فكرة أنا واحد حيوان "

- " لا ليش بتحكي عن حالك هيك ؟ شو عرفت إني عميا وضميرك أنبك "

- " لا مش هيك , بس يعني وحدة بكل هالجمال وأزعلها "

- " طيب كيف الجمال وشو يعني ؟ "

- " شو رأيك أكون عيونك الحلوين من يوم وطالع ؟ "

- " أنا ما بعرف شو يعني حلوين أصلا "

- " طيب أنا بحكيلك كيف, أنتي مش بتتعرفي على الناس لما تلمسيـــ وجههم وبتعرفي تحددي الملامح "

- " أه صح "

- " عمرك لمستي وجهك "

- " لا "

- " حطي إيديك عللى وجهك ورح ورجيكي كيف "

أصبحت مرام تتحسس تفاصيل وجهها

- " عيونك كبار وبجننو ، حسيتي فيهم ؟ "

- " آه , حسيت "

- " وأنفك صغير وفمك صغير وكلك حلوة، على فكرة أنتي أحلى وحدة هون "

- " أحلى منك "

- " أنا مش حلو ولا بنت بتطلع علي "

- تضحك " وجيت عندي لأني ما بشوف أصلا "

- يضحك " لا ولك بس لأنه أنتي حلوة "

رافقهـا طوال النهار, كان يصـــف لها الأشـــياء بدقة كاذبة, يخبرها بجمال الطبيعة من حولها, ويصف لها عالما مليئا بالجمال لم تكن تراه, هذه المرة الأولى التي تدرك جمال الأشياء .

أصـبح يهاتفها صـباحا ومسـاء, يبقى بجانبها في الجامعة, يتحدثان طويلا, ابتعد عن أصـدقائه وعلاقـاته العابرة مع الفتيات، هذه المرة الأولى التي يعشـــق فتاة ذا قلب صـــافيا، وهذه المرة الأولى التي تعشقه فتاة لم تره ولا تعلم عنه شيئا . إنه ذلك الإحساس الذي لم ينعم به من قبل .

في عيونك لغز وأسرار

تعال أتصالح على نفسي أنا وإياك

تستمع مرام لتلك الأغنية وتبكي, وتكتب " ما أصعب أن يفارقنا النور مرة أخرى, لأول مرة قد ولدت عمياء لا أرى شيئا, لكن يزن منحني النور, وأصبحت أرى كل شيء, في كل مرة كان يخبرني بها عن تلك الطبيعة الساحرة, أو حتى الفتيات القبيحات, وأنني أجمل شيء بالكون, كنت أشعر بفرح كبير يملأ صدري لكن هذه المرة أفقد نوري وبصري أفقده بالفعل، أشعر بحزن كبير على فراقه, أشعر بيأس كبير, وأنني غير قادرة على الحراك, وأشعر أن هذا العالم عاد ليظلمني, وحتى من كان بصري ظلمني " .

في تلك الفترة تعلم يزن الكتابة على طريقة بريل, حتى يكتب لمرام رسالة تقرأها وتفهم كل شيء, كتب لها :

" في يومنا الأول حينما افترقنا ذهبت إلى الجامعة, جلست على ذلك المقعد الذي كنا نجلس عليه, أتعلمين بأن لونه أصبح أبيضا كما تحبين, أتذكرين الأبيض يعني إصبعان منك يشيران إليّ ، في اليوم التالي أتاني شاب قبيح مثلي, وسألني عن أجمل فتاة بالجامعة ولم أخبره عنك, أتعلمين أغار عليك كثيرا, حتى تلك الوردة التي كنت تعشقين رائحتها قد ذبلت على بعدك، أتعلمين كيف تذبل، أصبح ملمسها خشنا, وكأنها ماتت[ مثلي تمام بدونك] ، في اليوم الثالث لقد اصطدمت قدمي بصخرة وآلمتني كثيرا, تلك الصخرة ذات الملمس الناعم التي كتبت اسمك عليها أنتِ تعلمينها جيدا، أما في باقي الأيام : أنا قد فقدت بصري، ولم أستطع الرؤية فهل لي بأن تريني هذا العالم الجميل ؟ "

ما أن قرأت مرام الرسالة , حتى هاتفت يزن باكية "

" - أنت كذبت علي , ما صرت أعمى مثلي صح , بتمزح صح ؟ "

- " لا أنا عملت حادث وصرت مثلك , وبدي أنتي تورجيني هالعالم من يوم وطالع "

مرت سنتان على زواج يزن ومرام , عاش يزن دور الأعمى جيدا, ولم تكتشف مرام ولو ليوم بأنه يكذب عليها, كانت تروي له العالم بما تراه هي، كان يسعد في كيفية تبادلهما الحوار, وحينما ينظر إليها, ويخبرها :

" أنا لا أرى لكنك تريني وبوضوح تام " ، تربت على كتفه وتقول : : لماذا تخبرني بأن ملامحك جميلة كملامحي ؟

- " فلننتظر طفلنا ليخبرنا هل منزلنا جميل أم لا "

تضع يدها على قلبه , وتقول :

" إن كان كقلبك سيكون جميلا كثيرا, يكفيني بأنك قد عشت دور الأعمى سنتين كاملتين "

- " ها هل تقصدين بأنني أرى وكاذب "

- " لا أنت بصري, وأنا أرى من خلالك, وأشعر جيدا بك، أحبك يا نور عيني "

يعانقها ويقول لها :

" بل أقسم بأنك بصري, أقسم بأنني لم أرَ العالم إلا معك, وأقسم بأن الله لو حرمني عيني , لجئت إليك دون أي تردد " .

# ولـدائـي لا يـوجد دواء

- " ألو "

- أهلين سيما شو فيكي ؟؟ "

- " أنا تعبت من الغربة نفسي أرجع "

- " تحملي يا قلبي "

- " بس الغربة أصعب من المرض "

- " حبيبتي تحملي ورح ترجعي أحسن من الأول "

مرّ عامان على مغادرتها الوطن؛ لأنها لم تجد ترياقا لمرضا في الوطن غادرته, ولم يعلموا أهلها بأن هواء الوطن دواء لكل داء .

على غير عادتها استيقظت تبكي من ألم يعصر معدتها, تذهب إلى أمها باكية :

- " أمي أشعر بمرض شديد يعصر معدتي "

- " لعلك لم تنمي جيدا الليلة، سأغلي لك بعض من الميرامية "

تذهب سيما لفراشها وتشعر بزيادة الألم، تأتيها أمها بكوب ساخن من الميرامية, قالت لها : " اشربي عزيزتي وسوف يذهب الألم " .

لم تكن تعلم أمها بأن طفلتها الصغيرة مصابة بمرض نادر, وأنه حينما أهدتها كأسا من الميرامية زاد حالتها سوءا .

ازداد الألم الذي تشعر به, أصبحت تبكي بصوت مرتفع, وترجو أمها بأن تحضر لها بسرعة، شعرت الأم بالذعر الشديد على فتاتها، وهاتفت أباها كي يقوم بإحضار الدكتور لها .

تم نقل سيما للمستشفى، مكثت فيه أكثر من عشرين يوما، ذاقت كل أنواع العذاب، من تلك الإبر التي كانت تخافها، ومن الممرضات اللواتي أصبحت تراهن مشعوذات، ورائحة المشفى

الكريهة, المليئة بالمعقمات، ازدادت حالتها سـوءا، فطلبت من أمها المغادرة فورا وإلا سـتموت من هذا الحال .

لم تكن سـيما فتاة عادية, كانت فتاة مليئة بالحياة, مفعمة بالضـجيج, يانعة كالزهر في الربيع، وما أن أصابها المرض حتى بدأت تفقد بريقها وضجيجها .

قرر والد سيما السفر إلى أمريكا لإتمام العلاج هناك .

هل يوجد فتاة على هذه الأرض لا تعشق السفر ؟

في المسـتشـفى " في الرابع والعشرـين من شـهر يناير في أمريكا " سـيما تصـرخ بصوت مرتفع وتصـاب بالإغماء، تصرـخ أمها طالبة نجدة فتاتها الصغيرة، يأتي دكتور ذو عينين واسعتين, وشعر بني مسرح للخلف, وقامة طويلة, وعطر يملأ المكان بدل رائحة المعقم الكريهة، يحاول أن يهدئ من روعها بالقليل من الكلام، لأنه يعلم بأنها تخاف الإبر .

- "أنتي فلسطينية ؟ "

- أه فلسطينية , وانت بتحكي عربي "

-" أنا فلسطيني بس عايش هون "

لأول مرة منذ أربعة أشـهر تشعر ريما بالارتياح قليلا, لعلها رأت به الوطن الذي اشتاقت إليه، يعطيها جرعة من الأدوية التي يطلقون عليها اسـم " مهدئات " ويذهب ليحدث أمها، يخبرها الدكتور بأن حالة سـيما ستزداد سوءا مع الأيام، تبكي أمها بشدة وتقول له : " لكن ماذا لا يوجد علاج " ، فيجيها : " هذا سيظهر مع تقبلها ورغبتها للحياة "

بدأ الدكتور أحمد زيارة سيما والتحدث معها كل يوم، وبدأت حالة سيما الصحية تتحسن شيئا فشـيئا، في يوم يخبرها بأن حالتها جيدة وبإمكانها مغادرة المسـتشفى، فيرى علامات الحزن على وجهها, وتبدأ بالبكاء

- " شو فيكي مالك ؟ "

- " إذا طلعت من المستشفى يعني ما رح أشوفك وما رح تيجي كل يوم تحكيلي قصة "

- " لا يا هبلة رح نضل نحكي كل يوم "

- " أنا بحبك "

يفتح أحمد فمه وتظهر علامات التعجب على وجهه !

- " بتمزحي صح "

- " أحكيلك أنا مريضة ولسه معدتي بتوجعني وما بدي أطلع من هون "

يدرك أحمد بأن هذه الفتاة جادة, فيخاف أن يرفض ذلك الحب فتزداد حالتها سوءا

- " طيب ماشي بتطلعي من المستشفى وبصير كل يوم احكي معك "

- " يعني رح تحبني ؟ "

- " إذا التزمتي بالدوا وأخذتيه كل يوم, وشفت حالتك متحسنة أكيد أه "

- " أحمد حبيبي لي ما بتحكي معي كتير "

- " يا روحي ما انتي بتعرفي انو أنا علي شغل وبناوب بالمشفى كتير "

- " أنا نفسي ارجع على المشفى عنجد "

- " ولي بلا هبل شو ترجعي ما ترجعي ما صدقنا تطيبي شوي "

- "بس انا اشتقتلك "

- " وأنا كمان "

في تلك الليلة , اســـتيقظت ســـيما , تبكي من الألم, تمســـك هاتفها المحمول وتطلب رقم أحمد، ولســـوء الحظ تجيبها فتاة " ألو " ، لم تعي ســـيما ماذا حصـــل بعد، تخبرها : " هل هذا هاتف أحمد ؟ "

- " نعم "

- " هل حدث لأحمد شيء ؟ "

- " هو نائم الآن "

- " ها ماذا , وأنتِ ماذا تفعلين "

- " أنا زوجته، من أنت ؟ "

تغلق سـيما الهاتف, وتبدأ حفلة من الدموع ، " هو متزوج , لم يخبرني بذلك , هل كان حبه شـفقة على حالي فقط ؟ لكنني تعلقت به " ، وتبكي وتزداد حالتها سـوءا، تنقل سيما للمشفى في تلك الليلة, يحاول جميع الأطباء تهدئتها, لكن لم يكن أحد يهدئها سـوى أحمد , وها هو داؤها اليوم !

تهاتف أمها احمد وتخبره بحالة سـيما السـيئة، فيأتي أحمد مسـرعا للمشفى، يدخل للغرفة، سيما ملقاة على الفراش, لا تستطيع التحرك, حتى أنها لا تستجيب لأي شيء، ينظر إليها أحمد : " سيما فتحي عيونك "

ولكن نبضات قلبها تبدأ بالانخفاض .

- " سيما تمسكي بالحياة ، مشان الله تمسكي أكتر "

ترفع يدها قليلا , ومن ثم تنزلها .

يعلم أحمد بأن سـيما بدأت تدخل في المرحلة الأخيرة من المرض وأن أيامها أصـبحت معدودة بعدد شـدة تمسـكها بالحياة، ينظر إلى هاتفه المحمول, ويرى بأنها قد هاتفته ليلا, وبأن أحدهم قام بالرد عليها، فيعلم بعدها أنه السبب فيما وصلت إليه سيما .

يلوم نفسه كثيرا " لكنني حاولت أن اهديها البعض من الفرح , أنا أحبها ... "

مرت ثلاث ليال لم تبرح سـيما فيها الفراش، قرر أحمد أن يحاول إعادتها إلى هذه الحياة، فأصبح يلازم غرفتها نهارا وليلا، ويتحدث معها وهو يعلم بأنها تسـمعه ولا تريد الاسـتيقاظ ، "سيما أنا بحبك, صدقيني بحبك, اصحي مشاني "

تفتح عينيها قليلا، فتقول والألم يمزقها :

" كذاب, أنت كذبت علي, حكيتلي بتحبني وطلعت متزوج "

يفرح أحمد لاستجابتها قليلا، ويخبرها بأن هذه الفتاة ليست سوى أمريكية تزوجها ليأخذ الجنسية، تبدأ سيما بالتعافي من أجل أحمد، ويشعر أحمد بثقل هذه المسؤولية عليه، فبفرحه تفرح وبسوء حالته تسوء حالتها، إذ لم يكلمها تزداد صحتها سوءا وإذا كلمها تتحسن كثيرا .

إن أسوأ مرض قد يصاب به الإنسان هو التعلق بأخر، وأن يجعل حياته رهينة لفرحه أو حزنه, ما أن نتعلق بأحدهم حتى تزداد حياتنا سوءا, وتزداد رغبتنا بالتخلي عنها .

لم يكن يعلم أحمد بأن تعلق سيما به لأيام قليلة سيزيد رغبتها بالشفاء, وبأنه سيصبح داءها الذي لن تشفى منه قط، ولم تكن تعلم سيما بأن التعلق بأحدهم أسوأ من مرضها الذي أصابها !

لكن لن يستطيع أحمد أن يبقى بجانبها للأبد، ولن تستطيع سيما التخلي عنه فهو كان الأمل لها في كل مرة تشعر باليأس, كان حبيبها وأخاها وصديقها, فرحها وحزنها, آلامها ودواءها, كيف ستتقبل فكرة أنه لن يبقى في حياتها ؟

في ذلك الوقت , قرر والد سيما بأن يعود للوطن، لمزاولة عمله الكثير, ولأن حالتها الصحية تحسنت كثيرا، تعلم سيما بالخبر وتبدأ بالبكاء " لا أريد العودة, أريد البقاء مع أحمد "

تهاتفه وتخبره بذلك .

يجيبها ببرود :" إذا رجعتي على فلسطين رح يكون أحسنلك "

- " وحبنا يا احمد "

- " مممم حبنا أنا بحبك وإنتي بتحبيني , وان شاء الله رح نضل سوا "

- " بس أنت وعدتني تضل حدي , وما تتركني ! "

- " بس أنا ما بقدر أرجع على فلسطين ، أنا شغلي هون وكلشي هون "

- " وأنا ؟ "

- " أنا مشغول بنحكي بوقت ثاني "

لأول مرة تشعر سيما بأنها قد أهانها, شعرت بأن حبها له كان وهما فقط, فتقرر السفر مع أهلها وعدم محادثته .

مر شـــهران على مفارقتها لأحمد, لم تشـــعر ســـيما بألم بالمعدة, لكنها كانت تبكي كل ليلة من قلبها، كان ألمها أشد من ذلك المرض الذي أصيبت به، وأدركت بأن حبها له داء ليس له دواء .

الحب : مرض فتاك تصاب به معظم الفتيات في الوقت الخاطئ ومع الرجل الخاطئ، ما أن تتعلق بأحدهم حتى يهجرها ويترك في قلبها ألما لن تشفى منه أبدا

# روح وأنـــــــــيـــــــــن

في لحظة أفكر بها بكل ما حولي، هذه الحياة ليست منصفة بحقي، وعادة كل شيء يحدث هو ضدي، في كل مرة أحاول الوقوف بها أجد الحياة تلقي بي بعيدا وتوقعني، مرضي كان الصدمة الكبرى، ذلك المرض الذي لا قدرة لي على مقاومته لكنه سيقاومني وربما سيهزمني، ليس لدي القدرة على مواجهة نفسي، فكيف سأواجه ذلك المرض الذي سيرافقني طوال حياتي كظلي ؟ أقف أمام مرآتي، أشعر بالخوف من نفسي، أجدني فتاة شاحب وجهها وكأنها في التسعين من عمرها، أحاول أن أتناسى مرضي والخروج للجلوس مع الناس، فيخافونني وأشعر بشفقتهم عليّ، أعود لغرفتي تلك، ثم أقرر أن أعزف لحنا للطيور للدمى ولكل شيء يحيط بي، أسمع صوت صراخ إخوتي وسخطهم على نشاز عزفي، ويرحمهم من ذلك الرجفة بيدي التي ما عادت تؤول بأن ينقطع الوتر قبل إنهاء معزوفتي .

أظن بأنني بدأت أحب الحياة حينما شعرت بالخوف من خسارتها، أشعل صوت موسيقى هادئة وأحلق بعيدا عن كل شيء، وفجأة أقرر أن أتغلب على مرضي والخروج من تلك الغرفة والحديث مع الناس دون أن أمعن النظر لشفقتهم أو ما شابه، والعودة لجامعتي التي تركتها خوفا من كلماتهم نحوي، والمشي دون الخوف من الوقوع، قرارات اتخذتها في ليلة هادئة، لم أسمع بها سوى صوت صراخ لأحدهم يبدو بأنه يعاني من مرض أصعب من مرضي، وقفت عند نافذتي، إنه ابن جيراننا، لكن لا أعلم بأن عندهم مريض، أنا المريضة الوحيدة في هذا الحي التي يخافها الجميع، كان صوته يقطع أوتار قلبي، أصعب من كل شيء وحتى ذلك اللحن الذي أعزفه، سأخلد للنوم متناسية هذا الصوت لأنني لا أحتمل المزيد من الألم، حاولت التقلب يمينا ويسارا، لكن كان صوته يعزف لحنا في أذني ويخبرني " انهضي واعزفي من أجله " ، وبالفعل أمسكت الجيتار وقررت أن أعزف لحنا أسميه " الأنين " ، بدأت بعزفه بصوت منخفض لكن كنت أشعر به، كان جميلًا جدا ، شعرت بأن كل شيء من حولي يصفق لي ، في اليوم التالي ذهبت إلى جامعتي، حينما استأذنت بالدخول لقاعة المحاضرة رمقني الجميع وكأنني جني أو شبح، لم أكترث لهم قلت : صباح الخير، وجلست في مقعدي ، وما زال الأنين يحاصرني ويشغل كل تفكيري، انتشلني من شرودي صوت الأستاذ ينادي باسمي : روح ، أجبته : نعم، نظر الجميع إلي متعجبين : ها اسمك روح !

قلت بيني وبين نفسي : " نعم أنا الفتاة التي ولدت بروح فقط، ومن صغر حجمي أسموني روحا، ولا يوجد شيء ظاهر بي سواه "

سمعت صوت أحدهم وهو يدندن " روح روح روحي يا عايش يا جوات روحي"

وأدركت بأنه يستهزئ بي، وهو يقول : " هذه أول مرة أرى روحا بدون روح " والجميع يقهقهون من خلفي، لكني لم أكترث لم أبكي ولم أفعل أي شيء، خرجت من المحاضرة وذهبت لكلية الفنون، أنا متيمة بالفنون، الموهبة الوحيدة التي أعيش من أجلها، كان المبنى من الداخل عبارة عن رقعة شطرنج، وسقف ذي قبة يسمح لك برؤية السماء، وفي الأروقة أصوات تتعالى لأشخاص يعزفون هنا وهناك، لكن حينما مررت من أمامهم توقفوا عن عزفهم ، شعرت بشيء في نفسي: " ألهذه الدرجة أنا مخيفة ؟ "

كانت تنظر لي إحداهن، شعرت بأنها طيبة تجرأت وطلبت الجيتار، قامت بتقديمه لي، أدرت ظهري لهم وبدأت بعزف لحن الأنين، فجأة ساد الصمت خلفي، بالتأكيد اندمجوا مع عزفي، سررت فعلا فأدرت ظهري لشكرهم لكن كانوا قد ذهبوا جميعًا، أؤمن بأنني أمتلك ملكة العزف لكن لا أحد يقدّر ذلك ، لحقت بالفتاة شكرتها وأعطيتها الجيتار، وقلت : " أنا روح وأنتِ " قالت: " عفريت "

ضحكتُ بغصة حينها وأكملت سيري.

هذا اليوم متعب جدا، في طريقي للبيت وقفت أسترق السمع على بيت جيراننا الذي سمعت صوت الأنين منه، خطر في ذهني فكرة ماذا لو دققت الباب وتعرفت على هذا المريض لعل انسجامًا يحدث بيني وبينه؛ لأننا نعاني من الشيء ذاته، دققتُ الباب مرة ومرتين عشر مرات، ولم يجب أحد صعدت حينها لبيتنا أمسكت الجيتار مجددا وعزفت بصوت أعلى وأصبحت أغني هذه الكلمات :

" عن أي أنين يتحدثون، يتهامسون ويتغامزون، أراهم مني يشمئزون، وبقلبي حكاية منها يعجبون، عن أي روح تسكنهم يخافون تيرا تيرا ... " ، إلى أن قاطعني صوت القرع على الباب كان أبي يستأذن بالدخول، جلس مقابلي وسرح خياله بعيدا، شعرت بدمعة في عينيه، وقلت : " لا تشعر بالشفقة تجاهي يا أبي، بل اشفق على من حولي، هم مريضون لكن لا يشعرون" ضمني والدي إلى صدره وكاد يحطم أضلعي، شعرت بأنه يودعني، ولم أكن أعلم أنه ينوي السفر واصطحابي معه، أنا أحب غرفتي، جيتاري ، وصوت الأنين، رفضت ذلك ورفضت العلاج بدولة ثانية لأشفى من مرضي، غضب أبي وخرج وهو يتمتم كلمات لا تهمني كثيرا.

وقفت عند نافذتي مجددا، نسمات هواء باردة كثيرة تلاعب خصلات شعري، وصوت الأنين يعلو أكثر فأكثر، ما ألمه ؟ ما مشكلته ؟ وما اسمه ؟ بدأت أتخيله بجانبي في كل المواقف، وكأنني وقعت في غرامه، كتبت له رسائل كثيرة، ما يقارب الأربعين رسالة في شهر واحد ، لكن لم أرسل أي واحدة،

جميعها بقيت في درج مكتبي، استمريت بالذهاب إلى بيتهم وقرع الباب عشرات المرات لكن ما من مجيب، في مرة رآني طفل على الباب، قال: " هذا البيت مهجور منذ مدة ولا أحد به، على من تقرعين الباب يا مجنونة " ، في تلك الليلة شعرت بالرعب، فقررت بأن أذهب وأسأل أمي : " هل يوجد جيران يسكنون في ذلك البيت "

أجابت أمي : " بيت أبو رامي مهجور منذ حوالي سبع سنوات "

ازداد شعور الخوف لديّ، ولم أصارح أمي بما أرى وأسمع حتى لا تحرمني من النوم وحيدة في الغرفة، سأصور الأنين اليوم، أمسكت بهاتفي ووجهته نحو غرفة الأنين المضيئة، وخياله ذلك وصوته، لكن يا ليتني لم أفعل، وقع هاتفي من النافذة وتحطم .

لكنني لم أيأس سأصوره الليلة القادمة، في صبيحة اليوم التالي ذهبت مجددا للفنون، كان هنالك الأشخاص ذاتهم يجلسون ويعزفون، أصبحوا أصدقائي الجدد ويرحبون بي كثيرا، قلت: " هل تريدون أن تسمعوا لحن الأنين "، قالوا بصوت واحد " كمان مرة " .

أمسكته مجددا وبدأت بالعزف، كان أجمل لحن عزفته في حياتي، لم ترتجف يدي، صوت ساحر وجميل، صفقوا لي بحرارة، ورأيت الدموع بأعينهم، وسألوني متعجبين : "ما الذي حدث لتعزفي بهذه الروعة والإحساس الجميل؟ "

قلت : " لعل الأنين قد مات ! "

أصرت إحداهن أن تصطحبني إلى أستاذها الجامعي، وقالت: " هذه الفتاة تعزف سحرا "

نظر إليّ ولشعري المنكوش، وعيني الذابلتين، ويدي المرتجفتين، نحيلة جدا، وقال باستهزاء : " هذه تستطيع العزف "

أمسكت حينها الجيتار بتحدٍ وبدأت بالعزف، لكن خانتني روحي ووقعت وقاموا بإرسالي للبيت، لماذا لم أنجحِ هذه المرة، في الليل قمت بمناداة أخي الصغير وطلبت منه أن يصور الأنين، كان البيت مضاءَ وبه خيال أحدهم يتوجع وصوته تقشعر له الأبدان، تمت المهمة بنجاح، أمسكت هاتفي المحمول وركضت نحو أمي وكأنني اكتشفت كنزا للتو

- " أمي أمي انظري "

- " إلى ماذا ؟ "

- " ألا ترين الأنين ؟! "

كانت علامات وجهها تشير إلى التعجب والنفي

- " ألا تسمعين الصوت، البيت ليس مهجوراً يا أمي "

- " لا أرى ولا أسمع شيئا "

- " لكن يا أمي ها هو أمامك "

ستقول أمي بأن المرض قد تطور عندي وبدأت أرى أوهامًا ، فقلت : " مزحة يا أمي " .

دخلت إلى غرفتي، لكن أنا أعلم بأنها ليست مزحة، لست أتوهم، أنا على يقين بأن أحدهم يسكن هذا البيت، بيتنا هادئ جدا، ولا أسمع سوى صوت صراصير الليل، الجميع خلد للنوم، فقررت بأن أنزل من غرفتي وأذهب لبيت الأنين، وأكتشف ذلك بنفسي، لم أشعر بالخوف، كان الحماس يملأني، أخطو خطوات صغيرة، وأسمع صوت أقدام من خلفي، لقد كان الصوت صوت أخي الصغير يلاحقني، نظرت باستياء : " ما بك تلاحقني ؟ " نظر إلي : " أين تذهبين " ، نظرت له وقلت : " إلى الجني " ، خاف أخي وركض باتجاه البيت، قرعت الباب مرتين، ولأول مرة فُتِح الباب، شعرت بأن قلبي سيقع من مكانه، واستيقظت وأنا في بيتي، كيف حدث هذا لا أعلم ، لعله قد أغمي علي حينما فتح الباب، نظرت لأمي وقلت :

" من أحضرني إلى هنا "

- " لقد أغمي عليك وأحضرك غريب إلى هنا، ما الشيء الذي جعلك تخرجين بالليل ؟ "

- قلت بصوت يرجف : " الأنين أحضرني صحيح ؟ "

-" لا ابن أم محمد رآكِ وأنتِ ملقاة على الباب فأحضرك فورا "

دخلت لغرفتي وقررت بأن أكتب قصتي، سأعيش مع الأنين، في هذا اليوم أقف على المسرح، أمسك بيدي جيتاري وأعزف وأغني دون خوف، ويصفق لي الآلاف، وفي كل يوم أذهب للبيت بعد الحفل أسمع صوت الأنين يعلو فأكمل معزوفتي .

في تلك الليلة صعدت لأعزف اللحن وحينما أنهيت العزف جاءني شاب يحمل وردة وسمعت الصوت ذاته (الأنين ) قالها لي : " أحبك "

نظرت للخلف لم أجد أحدًا، وقعت على المسرح حينها، استيقظت ومن حولي الناس ، قلت: " أين الأنين ؟ " نظر الجميع إليّ : " لا يوجد أحد هنا سوانا " .

وجدت الوردة بين يدي، شعرت بالسعادة، وأدركت أن الأنين ليس خيالًا فحسب، استنشقت رائحتها بحب وكأنني آخذ جرعات من الأكسجين، ودرت في المكان بحثا عنه، في هذا اليوم قررت أن أذهب لبيته وأن لا أقع، فُتح الباب فقال لي: " ادخلي بسرعة ... " .

السعادة غمرت روحي ها هو الأنين ليس خيالًا، كانت غرفة ضيوف من الطراز الحديث ولا تنم عن بيت مهجور أو ما شابه، نظر إلي وقال : " أنتِ عنيدة جدا "

- " لكن لست أعند من وجعك "

- " هل أزعجك صوت أنيني "

- " أسميتك الأنين "

- ضحك وقال : " اسمي سيمار "

- " ما هذا الاسم الغريب، أأغرب من روح ؟ الكل يعتقد بأنك عفريت "

- " وأنا فعلا كذلك "

خفت كثيرا ونطقت البسملة ووقعت بعدها، استيقظت وأنا في البيت مجددًا،

- " أين ذهب الأنين، قولي لي يا أمي كيف ظهر ؟ من أحضرني إلى هنا ؟

- " رجل كبير بالسن وابنه قاموا بإحضارك إلى هنا "

اليوم أيقنت بأن أنينا، وهما، مرضا، وجعا رافقني لسنة كاملة، في كل نجاح حققته كنت أبكي، وأصبحت أعتاد صوته ولا أفتح نافذتي، وفي كل مرة يقدم لي وردة لا أدير ظهري لأراها، أصبحت أقوم بأخذها فقط، في كل يوم كنت أتقبل فكرة مرضي وأعيش معه، والأنين كان هو تعبي، في يوم فتحت نافذتي صرخت بصوت ملأ صداه الكون :

" بحبببببببببك يا أنين "

أشعل الجيران مصابيحهم ركضوا مهرولين لأمي، جاءت أمي تقرأ المعوذات ، ما بكِ يا روح ، نظرت لها :

" أرجوكِ يا أمي أخبري والدي بأنني أريد السفر، لا أريد الأنين، يكفيني مرضي ووجعي ... "

ها أنا في طريقي للمطار، وصلت عند أبي ودخلت المستشفى للعلاج، لكن صوت الأنين عاد يلاحقني، آمنت بقدري، وبأن هذا الصوت سيلاحقني أينما ذهبت، وقررت بأن أتعايش معه بشكل طبيعي .

كان الصوت صوت وجعي الذي لا أستطيع إخراجه، صوت كل خيبة أصابتني من أحدهم، كل جرح تلقيته من أحدهم، وكل صديق طعنني بظهري، في كل مرة استهزأ أحد بي، وكل مرة قررت الهروب من قدري، وأن أنجح ولا أستسلم لوجعي، في كل مرة وقفت وصفق لي الجميع، كان الأنين الشيء الذي يؤكد لي بأنه أينما ذهبنا وحاولنا الهروب لن نستطيع الهروب من خيبة أصابتنا، لو ذهبنا إلى أبعد مكان في هذا العالم، ولو حاولنا قتل المرض والتعب والفقر وكل شيء يؤلمنا سيلاحقنا لو لم نواجه حقيقة أنه يسكن بنا، وفي كل مرة نقرر أن نواجه الأشخاص الذين جرحونا، سنسقط مثل روح، سنخاف ونتراجع كثيرا، وفي كثير من الأوقات نحاول أن نوصل رسالة لأحدهم كم تعبنا وتألمنا لكننا نتراجع في آخر خطوة نخطوها إليه لأننا نخاف ردة فعله .

الحياة روح وأنين، روح تجعلنا نسير ونتغلب على كل شيء، وأنين صوت بداخلنا يقول لنا : " كلما استغليتم وجعي ، ستحققون النجاحات " ، كان مرض روح هم الناس الذين يتتبعون عيوبنا وأخطاءنا ، وفي كل مرة وقعت بها كانت معيقات نتعرض لها في حياتنا ونقع .

الأنين : هو الوجع الذي يسكن في كل واحد منا، الصرخة التي يصرخ بها قلبنا حين ندخل الغرفة ونضع رأسنا على وسادتنا ونقرر النوم، هو الصوت الذي لن يسمعه ويراه أحد سوانا، كلما حاولت روح بأن تصور الأنين، كان ينكسر جهازها، حتى أمها أقرب الناس منها لم تستطع مشاهدة ألمها، كان صوت الأنين هو الوجع الذي تحدته لتنجح وتصعد للمسرح !

# هيَّ وطني

كم هي جميلة تلك اللحظة حينما يخيم الظلام هذا العالم وتخلد لفراشك كي تنام وأنت تشعر بالأمان، دون الخوف بأن يأتي أحدهم ويسلب وسادتك، تستيقظ صباحا تجد أمك أباك وإخوتك على طاولة واحدة، كانت لحظات صعبة مررت بها، فامتحانات التوجيهي قد قاربت، وأنا لست مغرما بالدراسة ولا النجاح، كان أبي يريدني أن أصبح دكتورا، وأمي تريدني مهندسا ، أما عن نفسي فقد كان حلمي بأن أكون رساما مشهورا، ظهرت نتائج التوجيهي وقد رسبت .

هذه أول مرة أشعر بأنني شخص فاشل وضعيف، لكن بيني وبين نفسي قد سررت، هكذا سأحقق حلمي وأكون أشهر رسام في هذا العالم، لكن ما كنت أجهله بأن اللوحة الأولى سوف تكلفني الكثير، وسأخسر بها كل من حولي، وهذا البيت وتلك الوسادة والآمان ، كان التاريخ حينها 6-7-2014 .

أبي مستاء مني لأنني قد فشلت في تحقيق حلمه، وأمي تولول وتقول : " أين سأخفي وجهي من الجيران ؟"، تجادلنا أنا ووالديّ قليلا، والنتيجة كانت طردي من البيت، حينما خرجت من ذلك المنزل شعرت لأول مرة بأنني حر وأستطيع فعل أي شيء في هذا العالم، لكن حدث معي موقف مضحك، هي المرة الأولى التي أدخل بها مسجد للصلاة، حقيقة لم أصل بحياتي ولو ركعة، لكن لا مأوى لي سواه، دخلت في وقت كان الناس قد خرجوا منه بعد أن أنهوا صلاتهم ، نظر إلي إمام المسجد وقال : " هل فاتك موعد الصلاة ؟ " فقلت : " نعم ... "

وقفت لأتظاهر بالصلاة ومن سوء حظي أنني قد اتخذت القبلة الخاطئة، فتمتم إمام المسجد بكلمات ومن ثم قال: " مطرود من البيت ؟ "

بدأ العرق يملأ وجهي، وكأنني في حوض السباحة، تلعثمت بالحديث، ومنذ ذلك اليوم أصبحت أصلي، خرجت من الجامع لأشتري شيئا أروي به جوعي، فإذ بي أرى ابنة جيراننا سميرة تلك الغليظة .

قلت لها : " هل اجتزتِ الامتحانات بنجاح ؟ "

نظرت لي بمنظرها القبيح ونظارتها الكبيرة وقالت بأنها رسبت .

لأول مرة أشعر بالارتياح تجاهها، وشعرت بالسعادة فكما يقولون الموت مع الجماعة أرحم، قالت باستهزاء: " أراك بجانب المسجد هل قام أبوك بطردك ؟ " فقلت: " أراك بجانب الحاوية هل قامت أمك برميك ؟ "

وفي تلك اللحظة مرت من أمامي آلاء ، آلاء فتاة ليست عادية، جمال، أدب ، أخلاق، حينما رأيتها أصبحت عيناي كأنني في دولاب بالملاهي، قلت: " مبارك النجاح يا آلاء " ، نظرت إلي بخجل وقالت: " الله يبارك فيك " ، تركتني وذهبت ، تتبعت خطواتها، أدارت ظهرها لي وقالت : " قصي هل بك شيء ما ؟ نظرت لها بحزن وقلت: " أنا جائع "

عمت الدهشة تفاصيل وجهها، وقالت: " هل طردك والدك من البيت؟ " ضحكت حينها وقلت بخجل : نعم .

- " انتظرني أسفل المنزل وسأحضر لك شيئا تأكله "

وقفت أنتظرها كطفل صغير، حقيقة لا أشعر بالجوع إلى هذا الحد، فقط أريد رؤيتها، أحضرت لي صحنا كبيرا من الأرز والدجاج، أصبحت آكل بشراهة، تشردقت بلقمة وهي تنظر إلي وقلت :" هل ستستمري بالنظر هكذا ؟ "

خجلت وصعدت للمنزل، أصبحت أشتم نفسي، هربت الفتاة، في تلك اللحظة مر من أمامي صديقي وطلب مني بأن نخرج خارج البلدة كنوع من الترفيه عن النفس، ذهبت معه لكن حينما عدت كانت الصدمة الأولى والأخيرة في حياتي، أصبح بيتنا عبارة عن كومة من الحجارة، أبي أمي وإخوتي أصبحوا جثثا هامدة، بيت آلاء غير موجود، أصبحت أسيرا بالبلد، كان هنالك المسجد الذي صليت به لأول مرة في حياتي، ونويت بأن أصلي به كل يوم، لم أكن أعلم بأنها ستكون آخر مرة، هذا إمام المسجد الطيب جثة هامدة على الأرض، وقفت عند جثته وأصبحت أصرخ : " يا شيخ استيقظ أرجوك " ، لكنه بقي ساكنا في مكانه، سرت قليلا للأمام، كل شيء أصبح كومة من الحجارة، هنا رأيت سميرة ذات النظارة الكبيرة، أين هي ؟ أيعقل بأنها استشهدت ؟

إلى أن وصلت إلى بيتنا هنا كانت غرفتي، هذه مخدتي عليها بقعة دم من أحدهم، على هذه الطاولة المتحطمة بين الركام تخاصمت مع والدي، وعلى تلك الكرسي كانت أمي تندب حظها بسبب فشلي، يا إلهي ماذا حصل ؟ أصابني الانهيار تماما بين الركام كطفل صغير، صوت الإسعاف يدوي في كل مكان، يتناقلون أجزاء من الأجساد، بعضهم من احتفظ بجثته كاملة لكنها متفحمة، البعض الآخر لم يتبقَ منه سوى قدميه، وبعض المحظوظين ما زالت الروح بهم، لكن فقدوا شيئا منهم، بعد عدة محاولات من قبل المسعفين تمكنوا من أن يجعلونني أغادر حطام منزلنا، خرجت على ركبتي، كنت أسير بتثاقل شديد، وكأن قدمي قد ربطت بخرسانة مسلحة، شعرت بتثاقل الهموم بي، إلى أن وصلت لبيت آلاء، تمنيت في سري بأن تكون على قيد الحياة .

قبل عدة ساعات، كان هنا حديقة خضراء مليئة بالزهور، والآن ليست سوى شلالات من الدم، وقفت مقابل بيتها هنا قلت بأنني جائع، وهنا أحضرت لي الطعام، تسارعت الذكريات إلي وكدت أنهار، حاولت أن أتماسك، كنت أحتفظ بقلم وورقة أخرجتهما من جيبي وبدأت برسم لوحة سأسميها "بداية النهاية " ، رسمت عائلتي، بيتي ، آلاء، وسادتي، وطني، مزقت الورقة بغضب، وصرخت: يا إلهي أرجو أن يكون هذا حلما، سمعت حينها صوتا حنونا من خلفي، صوتا خائفا ،أدرت ظهري وإذ بها آلاء ملقاة بين الركام وصخرة كبيرة فوق قدميها، أصبحت أصرخ كالمجنون : " أنقذوها أرجوكم "، جاءوا فورا وأصبحوا يحاولون انتشالها ، حالتها خطرة، سيقومون بنقلها لمستوصف يبتعد ربع ساعة عن هنا ،سيارة الإسعاف لا تتسع لمرافق في مثل هذه الحالات الحرجة، يقومون بأخذ مَن ما زال على قيد الحياة، قمت بالركض خلفهم، ركضت ركضت أصبت بالإرهاق، التقطت نفسي وعدت أركض مجددا، وبعد ساعة ونصف وصلت المستوصف، كان يشبه كل شيء عدا مكان طبي، من ينتقلون لرحمة الله يقومون بوضعهم خارج المستوصف، السرير يوجد به شخصان على الأقل، وحالة استنفار، رائحة دماء، أصوات تتعالى، أنين في كل مكان، والألم، أين سأجد آلاء بين هؤلاء ؟ كان السرير الأول يحوي طفلا صغيرا مقطوع اليدين، والسرير الآخر أم تحتضن أبناءها الذين استشهدوا فعليا، تنقلت بينهم إلى أن وصلت لسريرها، وقفت عندها كان وجهها جميلا، قلت : " هل أنتِ بخير" قالت : " لا أشعر بساقي " أجبتها: " هذا نتيجة الصخرة التي كانت ساقطة فوقك " ، لكن الصدمة حينما نظرت لساقها وكانت مبتورة، شعرت بالخوف ،كيف سأقول لها هذا الشيء ؟ مر أسبوعان على ذلك، علمت آلاء بأنها قد فقدت ساقها، وأنا علمت بأنه لم يعد لي شيء هنا سواها، لكن حينما نخسر شيئا نشعر بأن كل تصرف جيدا تجاهنا هو شفقة ورحمة من الآخر، هكذا شعرت آلاء، أي شيء أحاول فعله تقول : " أنت تشعر بالشفقة تجاهي" ، لكن أنا أود الزواج منها، برغم صغر سني، لكن سأعمل وأؤمن لها حياة تليق بها، مر شهران، وقاموا بتأمين بعض البيوت الهشة الركيكة لذوي البيوت المهدمة، كنت حينها قد شاركت في مسابقة للرسم، ونالت اللوحة إعجابهم، وحصلت على منحة بالخارج، كانت آلاء تسكن عند بيت عمها، ذهبت مسرعا وأخبرتها بالأمر، تمنت لي التوفيق، قلت : " أرجوكِ لا تتزوجي قبل رجوعي، أنا أريد أن أتزوجك "، كانت مفعمة بالقوة والحيوية، مليئة بالتفاؤل والأمل، بسمتها تجعلني أخطو خطوة للأمام في كل مرة أفكر بالتراجع بها .

قبيل ذهابي قمت بإلقاء الوداع على قبر عائلتي الغير موجود، لأنه لم تظهر جثثهم، شعرت بغصة وقلت في نفسي : " أنا أعلم بأنكم هنا في مكان ما، في وردة ما " ، حملت حقيبتي وسافرت، وصلت لبلد مليئة بالأمان، لا صوت صواريخ، ولا رعب فيها، وحتى الدم ليس له رائحة مثل رائحة

المسك في وطني، غريب عن وطني وعن نفسي، اشتركت بالمسابقة العالمية للرسم، ورسمت لوحة قمت بتسميتها " هي وطني " .

وفي المعرض جاءت إحداهن، وقفت أمام لوحتي وحدقت بها بشدة ، وقالت:

- " هذه اللوحة مثل السحر "

- " كيف لو ترين عينيها "

-" هل هي جميلة لهذه الدرجة ؟ "

- " بل أجمل "

تمنت لي التوفيق وذهبت، جاء وقت إعلان النتائج، أنا أشعر بأنني سأفوز، لوحتي مليئة بالحب، الألم والحرب الذي فقدت به كل شيء ، لكني للأسف خسرت !

لم تفز لوحتي، وحتى بأنه لم يستطع أحد فهمها، هؤلاء ليسوا كمثلي، هم في وطنهم، ولم يخسروا عائلتهم وحبيبتهم، بقيت هناك سنة ونصف، حياة جميلة، رفاهية، عملت ليلا ونهارا حتى أستطيع العودة لوطني والزواج من آلاء، عدت لوطني وذهبت لبيت عمها، قرعت الباب بلهفة، فتحت عمتها الباب، قلت: " هل آلاء بخير" ، وجدتها تتكئ على عصا وتسير رويدا رويدا بساق اصطناعي، شعرت بالأمان،وقلت : " هل تقبلين الزواج بي ؟ "، وافقت مباشرة، تزوجنا وأصبحت هي وطني، ولوحتي أصبحت من أهم اللوحات العالمية، التي يتسابق عليها الرأسماليون والسماسرة والشعراء ليتغنوا ويقولوا للعالم عن هذا الألم الذي بها، وكي يظهرون للعالم بأنهم متعاطفون معنا، وقد انتشلونا من هذه الحياة، لكن فعليا هذه اللوحة هي الحياة بألوانها، من الأحمر لون الدم، والأخضر لون الحديقة، والأبيض لون وسادتي، وجميع ألوان الحياة التي بها كانت هي .

# ولأنـنـي أحـبـهـا

أسـأل نفسي- لو لم أسـافر حينها ماذا كان سـيحدث؟ سـأروي لكم قصتي وأعلم بأنكم ستقولون بأنها خيالية، لكنها حقيقية وليست فلما هنديا

" بسأل بحالي لو ما سافرت شو كان صار معي "

قبل حوالي أربعة سـنوات واجهت أخطر قرار في حياتي، قرارا مصـيريا، لكنني أعتبره قرارا جنونيا، كنت حينها على علاقة حب مع فتاة، ولكي لا تخونني قمت بقتلها، قتلتها وهربت خارج البلد .

ولا أحد يعلم بأنني من قام بقتلها .

عمري ثمان وعشر-ون سـنة، بدأت قصتي منذ ست سنوات، وقتلتها منذ حوالي أربعة سنين،كنت حينها بالجامعة تعرفت على فتاة جميلة جدا، وكانت قصـة حب عادية،لكن حينما اقتحم الشك عالمي تغير كل شيء .

هاتفها في منتصـف الليل وهاتفها كان مشـغولا، بالصـباح الأمر ذاته، سألتها من تحدثي فتجيبني صديقتي .

- " وشو هالصديقة الي بتنشغلي معها "

لم تقدم لي أجوبة مقنعة، قررت بأن أراقبها، لكنها لا تفعل شـــيئا خاطئا، حتى أنها لم تقف أبدا مع شاب، استمرت علاقتنا خمسة شهور، كنت حينها أجلس معها سألتها :

- " حبيتي حدا قبلي"

- " لا"

كنت أعلم بشاب أحبته قبلي .

- " بتكذبي علي"

- " لا "

حينها قمت بضربها وأصبحت تبكي، شعرت بالحزن عليها، وطلبت السماح وأنني لن أكررها مرة أخرى .

لكنها لم تسامحني، ومر أسبوع ولم تحدثني، فقررت بأن أهديها باقة ورد حمراء طمعا بمصالحتها كباقي الفتيات، أحضرت لها باقة كبيرة، ووضعتها أمام باب منزلها، عمَّ الفرح قلبها حينها وسامحتني .

خلال علاقتنا أصبحت يدي تعتاد ضربها، في يوم قمت بضربها على وجهها، وفي اليوم التالي بمفتاح سيارتي، لست رجلا ضعيفا لكنها مستفزة جدا.

جاء موعد تخرجي من الجامعة، وهي ما زالت في سنتها الثانية، خيرتها حينها إما ان تستمر بعلاقتها معي أو تنهي دراستها .

بكت حينها وقالت: " بأن الجامعة مستقبلها وبأنني روحها "

لكنني لم أقبل؛ فرجل مثلي يغار كثيرا على ممتلكاته، وأصرت على موقفها وأنا كذلك .

بعد أسبوع من البكاء والتوسل قررت بأن أرسب في مادة الفصل الأخير كي أبقى بجانبها .

سأريكم ماذا كتبت في دفتر مذكراتها، لتكونوا أنتم الحكم في قصتنا

" أنا اسمي دانا ، حبيت شب أكبر مني ب3 سنين الشب اسمو مراد، انا بكتب حاليا مذكراتي ، اليوم تعرفت علي كان حلوو كتيير وجنتلل

بس مع الأيام بلشت أخاف منه تصرفاته غريبة ، وبشك فيي وما بوثق فيي بالمرة .

اليوم قررت أني أرد عليه وأحكيلو إني بحبو ، بس من بعد هالكلمة تغير كتير أشياء ، أنا طول عمري بابا ما ضربني، ومستقلة بذاتي وبحب الحياة كثير بس حبيته خلاني ألبس عباية لأنه بغار، ومنعني أحط مكياج ، مع هيك أنا مش زعلانة منه لأني بحبه وبعرف أنه بغار علي .. مثل وحدة من أخواته اليوم كان صعب كثير طلعت معه ، وإحنا بنحكي ضربني !

أنا أول مرة بحس إني ضعيفة زعلت منه وقررت ما أحكي معه، مر أسبوع وصالحني، بس بعدها صار يضربني دائما ...

حسيت أنو لازم أضل أتنازل، بما أني تنازلت مرة بالنهاية رح كون مرته ونصيبه إذا ضربني يعني بحبني ! "

كلمات كتبتها هي في دفتر مذكراتها، وقمت بأخذ الدفتر معي قبل سفري، لكن حقيقة كنت أضربها لأنني أحب ضربها، لا لشيء آخر، حينما قررت أن افتح هذا الدفتر اللعين تغيرت أشياء كثيرة بداخلي شعرت بالذنب وحجم الظلم الذي أوقعته عليها .

حينما رسبت بمادة كي أبقى بجانبها، كنت أقضي طوال الفترة الصباحية معها أرافقها لمحاضرتها نتناول الفطور سويا .

في يوم ميلادها قمت بحجز مطعم لأفاجئها، وأحضرت لها " دبدوبا " كبيرا،

هاتفتها مرة ومرتين وثلاثة ولم تجب، في المرة الرابعة أجابت، لم أستطع تمالك نفسي، فانهلتُ عليها بالشتائم، حينها قالت بأنها كانت في امتحان ،قلت لها: " احضري إلى هنا بسرعة " وحينما أتت قمت بضربها على وجهها، لكن حينما رأت المفاجأة سامحتني .

كتبت في مذكراتها حينها :

"اليوم حبيبي اهتم في كتير وورجاني قديش بحبني فاجئني مفاجآة بتجنن ضل يبهدل في وضربني عشان أفكر انه مش متذكر عيد ميلادي

بس طلع حابب يبسطني يا الله شو بحبه أنا "

لكن حقا ضربتها بسبب شكي وغيرتي، كان اليوم ماطرا طلبت منها بأن تنتظرني، حينما خرجت من المحاضرة وجدتها قد غادرت قبلي، اشتعل غضبي كثيرا، ذهبت إلى منزلهم وطلبت منها بأن أراها أسفل المنزل ،ضربتها وشتمتها فبدأت تبكي، عانقتها وطلبت منها السماح، صرخت " لماذا تضربني دائما ؟ "

أجبتها " لأنني أحبك "

كتبت حينها في مذكراتها :

"اليوم أجى مراد لعنا عالبيت كان معصب كتير أبصر شو مزعله لحبيبي بس بالنهاية حضني وحكالي انه بحبني واعطاني شوكلاتة يا الله شوو حنووون حب يجي لعندي لأنو نسي يعطيني الشوكلاتة.

الله يخليلي يا ...."

في اليوم التالي حينما أتت للجامعة كانت عينها اليمين منتفخة قليلا، سألتها لم عينك منتفخة ؟ قالت: "حينما ضربتني أصبحت هكذا " ،أنكرت حينها بأنني ضربتها، وقلت لها : " مجنونة " ، بعد سنتين من الحب أعترف بأنني أخطأت بحقها كثيرا، وخصوصا حينما كنت أضربها، فقررت بأن أتقدم لخطبتها، لكن رأيتها تقف مع شاب، جن جنوني وقررت أن أقوم بقتلها، انتظرته حتى غادر وذهبت إليها، نظرت إليها وقلت بصوت غاضب: " لماذا ؟؟ " ، نظرت إلي بعمق ولم تنبس ببنت شفة، أصبحت تؤشر على وجهها، يديها، وقدميها، على الكدمات العالقة بسببي، صرخت بها: " شووووو يعنييي"

أدارت ظهرها لي وذهبت، جن جنوني، ازداد غضبي لحقت بها وقتلتها !

ولو اجتمع الكل على أنني المذنب الذي قام بقتلها، لم أعترف بذلك، هذا قدرها ونصيبها، أمسكت بجواز سفري وسافرت، بعد مدة بينما كنت أشاهد التلفاز وجدت خبرا عن فتاة مقتولة وملقاة بالطريق، لكن لا أحد يعلم من قام بقتلها

"على أثر قضية شرف " هكذا أنهى المقدم الخبر .

قبيل قتلي لها بليلة كانت قد خطت في مذكراتها

" غدا سوف يأتي أخي من السفر، أخي من أبي وامرأته الأخرى ، سأخفي الأمر عن أمي ،حتى لا أخدش مشاعرها، سأراه غدا وأكلمه عن مراد " علمت حينها بأنها لم تقم بخيانتي، وبأن قتلي لها كان ظلما ، أشعر بالندم الآن ، وحتى الحياة لم تصبح لها أي معنى، ضائع ومشرد وحزين، مع ذلك أبرر لنفسي ما فعلت بها في كل مرة أتذكر ضعفها .

هذه هي حياة الكثيرات، يتعرضن للضرب وللسيطرة المطلقة من أزواجهن ، أو حتى التعذيب النفسي، الذي يتمثل في الغيرة والشك والضرب، لأن الشريك يفتقد ثقته بنفسه ، تلك الفتاة التي تستطيع بأن توهم نفسها بحب زوجها حينما يضربها، أو أنه يشعر بالخوف عليها، ستغفر له في كل مرة يقدم لها كلمة جميلة ، وردة ، أو حتى ابتسامة ، لم تره منذ مدة، إلى ذلك الوقت الذي يقرر قتلها، ليس القتل الحقيقي، لكن قتل مشاعرها وطفولتها وبراءتها وحبها للحياة، وسيبقى المجتمع يوجه أصابع الاتهام لها، لأنها قضيت طوال حياتها وهي تحاول التظاهر بأن كل شيء طبيعي .

من يحبك سيخاف عليك من نفسه، مارسي حقك في كونك أنثى ، ولا تصمتي حينما يظلمك !

# روتين

هنالك أمور تحدث في حياتنا، تجعلنا نكسر الروتين، روتين اعتدنا عليه في كل يوم، ونفعله دون أن ندرك بأننا ابتعدنا كثيرا عن حياتنا الجميلة سابقا.

أنا أدعى محـمدا عمري الآن واحد وعشرون سنة، وزوجتي تدعى سارة، ذات الثامنة عشر عاما، طفلي وحيد أسميّتُه سامرًا ، علَّه يشاركني سَمَرِي ليلا، وعمره سنتان.

تزوجت منذ حوالي ثلاثة سنوات، كنت صغيرَ السن حينها، لا أدركُ ماهيةَ الأشياء، عليكُم أنْ تتريَّثُوا قليلا في النُطِق بالحُكم يا قُضاة، اقرأوا حِكايتي للرمقِ الأخير ، بعدها سيكونُ حُكْمُكُم عليّ لم يأتِ جُزافَةً.

أنا لم أقتل حبيبتي، لم أرمِ بأحلامها عرضَ الحائط، لكن هي من قتلتني، ماتت فعلا، لكنني ما زلت على قيد الحياة.

في ذلك الوقت، كان المطر يهطل بغزارة، وأعلمُ عِلْم اليقين بأنَّ حبيبتي تحبه، بالرغم مِنْ أنَّها تصبِحُ طريحَة الفِراشِ حالَ نزول المطر ، لذلك اتخذْتُ منْه عدوًا لي ، لم يدخل جوف قلبي أبدا .

هاتفتها حينها :

- " سارة ما بدي شوفك اليوم لأنه مطر "

- أجابتْ وقد عصرها الحُزن والألم : " أنت بطلت تحبني، لازم احكي معك "

- " أمري لله بدي أجي أشوفك لتعرفي إني بحبك "

في الحبِّ لا بدَّ مِن أنْ يخضع أحدهم لِعنادِ الآخر ،كُنتُ أعلم بأنَّ عنادها سيكسرُ إرادَتِي، ارتديت ثيابي وذهبت لرؤيتها، ما أن وصلت بيت أهلها، حتى وجدتها مرتدية ملابس خفيفة، ولا تضع أي شيء يغطي شعرها، شعرت بالغضب حينها.

وصرختُ : " بعدين معك إنتي هيك رح تمرضي "
أصبحت تحاول استفزازي أكثر
- " أنت خايف أمرض ولا غيران حد يشوف شعري ،

غيراان غيوور ".

- "ولي بنتف شعراتك اطلعي البسي طاقية لتمرضي ..

- "اعمل معي مثل المسلسلات ولبسني جاكيتك "

- " يا روح أمك ألبسك جاكيتي وأنا أمرض "

رَبَتَتْ على كتفي قائلة : " تعلم الرومانسية "

" بكفي دابحتك أنتِ"

في ذلك الوقت كان أبوها يقف على النافذة ويسترق النظر إلينا، ما أن رفعت رأسي قليلا حتى رأيته، أصابني الذعر،وقلت في نفسي :

" سأموت الآن "

لكن خاب ظني حينما سمعت أباها ينادي ويقول: "عمي اطلعوا فوق بلاش تمرضوا "

تلعثمت في الحديث، أصابني الشكّ " ولك هاد أبوكي !"

أجابتني بثقة :" نعم اصعد للمنزل لتتعرف عليه"

قلت : " سأصعد وأرى ما سر هذه العائلة الغريبة " .

صعدت الدرج رويدا رويدا، وشعرتُ بأنني سألقى حتفي لا محالة حينما أدق باب بيتهم، وضعت كل الاحتمالات، ودخلت البيت، كان بيتا غريبا، وكأنه لمشعوذ، مليءٍ بمصيدة الأحلام، رائحة البخور تنبعث منه ، لون الحائط أسود ، وأثاث أبيض، ورائحة ليست بالغريبة عني ، وقفت أحدق بأبيها .

فنظر إلي وقال : "اجلس على ذلك الكرسي "

أصبحت أدور حول نفسي أبحث عنه، أين الكرسي أين !

كان شكل الكرسي غريبا، وكأنه للشياطين، أيعقل بأنه سيسحرني؟!

وأنا غارق في مخاوفي، سمعت صوت قهقهة من بعيد أشبه بالمشعوذات في أفلام الرعب، ولوهلة شعرت بأنني فتاة مليئة بالذهب وقعت بين يدي ريا وسكينة .
وأصبحت أغني لنفسي " يا حسرة عليها أجت برجليها "
نظرت إليّ سارة وقالت : " شو حاب تشرب "

أكملت السيناريو في مخيلتي، أبوها هو عبد العال وأمها سكينة وتقول " هاتي الشربات وزبطووه "
قلت بصوت يرتجف من الخوف : " تعرفت على أبوكي خليني أروح "
نظر إلي أباها وقال : " اقعد يا محـمد "
- " ها بقعد ... أصلا أنا اللي بقعد، ليش هند أحسن مني ☹ "

لقد انتهى أمرك يا محمـد، هذا ما شعرت به فعليا، ما هذا الحب، أنا غبي، هل يوجد شاب في السابعة عشر من عمره يفعل ما فعلته، كنت أقضي معظم وقتي مع أصدقائي ، كنت سعيدا ، قبل أن أدخل عالم الحب .

ضحكت سارة حينها وببرود قالت :

- " مالك "
- " أنا بدي أغادر "

- " اشرب قهوتك وروح "
- " أنا ما بحب القهوة "
- اقتربت وهمست " " بابا فري "
- قلت باستنكار : "يااادي الفري تبعكم ،أنا كرهتك "
- فقالت بتهكم " لماذا؟ "
- " لأنني شعرت بأنني دجاجة وقعت في قفص للذبح للتو، وهنالك امرأة في المطبخ تحمل سكينا لتضعها على الملوخية" .

سمعت في ذلك الوقت صوت أبيها يضحك .

وقلت في نفسي :

" الله يطمن بالك، أنا كنت مفكر إنه مستحيل يبينو سنانك، أصلا فكَّرت فمك مغارة علي بابا مليانة ذهب فش إلا إشارات وتوشوش كلامك ".

اغتمنت الفرصة لأخرج من هذا المنزل، وحينما وصلت بيتنا، قطعت عهدا أنْ لَنْ أعود لذلك المنزل مرة أخرى ، وحمدت الله؛ فأنا ما زلت على قيد الحياة، هاتفتني في تلك الليلة:

- "مـحمد أبوي ارتحلك وبحكي عنك جدع"

- "أي جدع هاد ولك كان انقطع نسلي من ورا داركم وأبوكي،أنا مش متعود أحب بنت يستقبلني أبوها، متعود يلحقني أخوها يقتلني ومن هالقصص " .

أدْمنْتُ الحديث معها بعد شهر من تعرفي عليها، وأصبحنا نتواصل يوميًا، وبِتُ لا أخشى أنْ أذهب لبيتها كما المرّة الأولى .

أحبتني كثيرا، وكانت على استعداد تام بأن تضحي بأي شيء من أجلي، وفي ليلة كئيبة اختفت حبيبتي فجأة، ما عادت تجيب على مكالماتي ،ذهبت ووقفت أسفل منزلها ولم تجب، قرعتُ جرس بيتها، ولم يجِبْ أحد أيضا، بدأ الخوف يتسلل إلى نفسي، لعلَّ مكروه حدث معها!!

لكن رأيتها تأتي إليّ، ويرافقها شاب، للوهلة الأولى ظننت بأنه أخوها،لكن سرعان ما تذكرتُ بأن سارة لا يوجد لديها إخوة، وحينما رأتني ارتبكت كثيرا، وقالت :

- "م حمم حممحد شو جابك لهون بهالوقت "

- " جابوني رجلي .. "

نظر إليها الشاب وسألها عني .

- " قولي له من أكون "

- " هذا صديق " .

في ذلك الوقت كرهتها وكرهت نفسي، بصقت عليها وذهبت،كانت تلك الفترة من أصعب أوقات حياتي، دخلت في مرحلة الكآبة، وشعرت بأنني مقهور ومخدوع،أنا قد تخليت عن كل شيء من أجلها ،أحببتها وأصبحت أعمل طوال النهار؛ كي أتقدم لخطبتها، وبعد هذا كله تخونني !

في صبيحة اليوم التالي، أفقت من نومي وأنا عازم على الزواج، قلت لأمي :

" في بنت عاجبيتني وبدي أتزوجها"

كانت أمي مسكينة وتحب لي الخير، وافقت رغم صغر سني، هاتفت أهل الفتاة، وسارت كل الأمور على خير، اتفقنا على أن تكون مدة الخطبة شهرين، وأن نسكن عند والدتي، وافق أهل الفتاة على ذلك .

خلال هذه الفترة علمت أمورًا لم أعلمها من قبل، بأن ذلك الشاب الذي كان مع سارة هو ممرض يأتي كل يوم لمنزلهم؛ لأن أباها مريض، وذلك يعني أنها لم تقم بخيانتي، لكن بعد الزواج،أنا بدأت بالانتقام وقتل حبيبيتي ببطء ،لم أعد أتحدث معها كالسابق، ولا أهتم بأمرها، ولا أستفسر ماذا تحب أو تكره، وحينما أشعر بأن هنالك أمرا ما يزعجها أبتعد ولا اسأل ما بها، مع أنه ما زالت ترافقني لليوم ، ولم تتركني ولو للحظة، تخاف علي كثيرا ، ووقفت بجانبي لآخر لحظة.

في يوم كنت فيه غاضبا عدت للمنزل، وقمت برفع يدي عليها وضربها، أصبحت تبكي، ونظرت لي وقالت : "

أنا كنت حبيبتك ، بس هسه أنا متت ، إنت قتلتني " .

بعد أول سنة من زواجنا كنت أحبها كثيرا، لكن عندما أنجبت طفلنا الأول، أصبحت أهتم بطفلي أكثر منها، حتى بأنني تجاهلتها، وهي ما عادت تهتم بنفسها كالسابق، ربما الفرحة بالطفل البِكر أفقدتني جُلَّ تركيزي .

قبل عام حينما أردت الخطبة، اتصل والد سارة وقال لي : " محمد سارة ما زالت تحبك " . وشرح لي كل القصة، وأخبرني بأني قد أخطأت في الحكم على سارة. حينها قررت بأن أتقدم لخطبتها وتزوجنا بعد مدة قصيرة، نعم من تزوجتها هي سارة ، حبيبتي التي قتلتها .

لكن بعد أن تقدَّم بنا الزمن قليلا ظلمتها, ونسيتُ بأنها كانت سندي ومأواي في العشق، فحينما أصبحت ملكي لم أعد أهتم بها، كثيرة هي مشاغل الحياة التي كانت السبب في وأدِ اهتمامي بها، أصبحت حياتي تسيرُ على نسقٍ واحد ، أعود للمنزل أقبل صغيري وأتناول الغذاء ، ثمَّ ألقي بنفسي على السرير، وحينما أصحو أقوم بمتابعة المباراة أَو الأخبار، ولا أذكر منذ متى كان آخر نقاش بيننا ، بدأت ألاحظ بأنها أصبحت باردة بالتعامل

معي، مثل آلة تؤدي وظيفتها فقط، شعرت بأنني قتلت حب حياتي ودفنته بيديّ وللأبد، أنا أمارس حياتي الطبيعية أعمل وأخرج مع أصدقائي، وهي تعيش من أجلي وأجل طفلي فقط . أدركت بأني حقًّا مُجحفٌ بحقِ الحُب .

الروتين كلمة تؤدي للملل ولإحداث شرخ في الحياة ، الروتين الذي يجعل أي إنسان يعتاد على أحدهم فيتمادى بأخطائه بحقه، منذ زواجنا ما عدت أناديها سوى " سارة أو أم أحمد ، أو زوجتي "

وهكذا مات كل شيء فيها ، أصبحت جسدا يمشي على الأرضِ دون روح ، دون حياة .

أعترف بأنني ظالم، لكن هي من ظلمت نفسها أكثر، لأنها أصبحت تضحي من أجلي فقط .

في كل علاقة ، يجب علينا أن نحافظ على من أحببناهم، وعندما تمضي الأيام وتنسينا ماذا أحببنا بذلك الشخص لأول مرة، تتحول العلاقة إلى كومة ثلجية يلوم كل من بها الطرف الآخر، ولا يدرك بأنه يقتل الحب ويقتله !

تزوجت بحبيبتي، لكنني قتلتها حينما أصبحت زوجتي، كل ذلك لأنها أصبحت حياتي معها روتين فقط ، لا دهشة ، لا جديد ، اليوم كالغد كأمس ، هكذا أصبحت حياتي معها .

# وعن حواء

مر وقت طويل على آخر مرةٍ كنت أعتقد بأن جميع الفتيات خائنات، إلى أن رأيت عينيها، كانت نسمات الهواء تتسلل من النافذة، إلى أن فتح الباب لتدخل فتاة يداعب الهواء شعرها، فتاة ليس كباقي الفتيات، وأظن بأن وصفها شيء مستحيل، أعادتني لسنوات كثيرة ، سِنون في كل مرة أعرف فتاة أكتشف بأنني أخطأت كثيرا .

قالت : " مرحبا "

أجبتها : " أهلا تفضلي "

لا أعلم ماذا حل بي، شعرت بأن قلبي توقف وأصبح مسحورا بعينيها، لكن قد تعرضت لخيبات كثيرة من جنس حواء، أنا من المستحيل أن أصدق فتاة، إنهن كالشياطين " حواء هي التي أخرجت آدم من الجنة " كما أنها أخرجتني من الحياة .

تذكرت ذلك الوقت الذي أحببت به لأول مرة، كانت مطلقة ولديها بنتان، وعمري سبعة عشر عاما، لم أعِ لماذا أحبتها أهو حزن، أو من قلبي ؟ لم أملك الجرأة حينها لأرتبط بها بزواج عادي، فلجأت للعرفي وهو أول خطأ في حياتي .

لكن برغم جهلي بالزواج العرفي ومسماه وحرامه، إلا أنها قامت بخيانتي، واستغلالي، وخرجت بألف مشكلة وديون متراكمة، سرقت أموالي التي قمت بجلبها بالدَّين، وهربت إلى طليقها، وتلك كانت خيبتي الأولى بحواء .

ما الذي يحصل معي الآن، لماذا قلبي يدق هكذا ؟

كانت تحادثني وأنا مُمْعِنٌ في عينيها، كم هي قوية، رمقتني بنصف عين وقالت :

- " على فكرة أنا جاية أرفع قضية خلع ... "

- " خلع ، خلع مرة وحدة , وحدة مثلك تخلع زوجها ، يا الله حتى انتِ متزوجة ! "

- " وشو العيب في إني أكون متزوجة ؟ "

حينها استيقظت من شرودي وطلبت منها تعبئة الطلب .

- " أي طلب هذا ، بدي أخلعوا وأرتاح أنا "

- " طيب لا تعصبي , بس هاي إجراءات قانونية لنحولك لمحامي يتبنى قضيتك ... "

أمسكت القلم بين يديها الحريريتين، وبدأت تكتب بثقة، لم ترجف يداها قط، وكأنها قد اتخذت قرارا من قلبها .

هذه ليست الحالة الأولى التي تصلني من نساء يطلبن خلع أزواجهن، لكن كان يبدو عليهن الانكسار والهموم، ترجف أياديهن، ودمعتهن تسبق كلماتهن، هذه مختلفة عن كل الحالات السابقة، أنهت تعبئة الطلب وقامت بتسليميه لي، سألتها وهي في طريقها إلى باب المكتب : " متى ستبدأ القضية ؟ "

فأجابتني : " حالا "

ضحكت وقلتُ لها " ليس بهذه السرعة "

التفتت صَوْبِي وقالت : " أسرع أسرع "

أدارت رأسها مجددا وتوجهت نحو الباب هي تسير وقلبي يسير معها، كان بودي أن أناجيها بأن تبقى بجانبي وأن تكمل حياتها معي، فربما تُنسيني خيبات حواء " .

قلت لها : "رزان إن شاء الله قضيتك محلولة , بس لازم نقعد سوا "

نظرت لي وقالت : "رقمي وكل شي عندك متى ما بدك رنلي "

في اليوم التالي في الساعة السابعة والنصف صباحا هاتفتها، حقا لم أنم تلك الليلة، كنت متشوقا لأن أجلس معها وأفهم قصتها .

أجابتني وقد بدا عليها النعاس : " آلو آلو "

أجبتها :" هلا أنا قيس , اللي جيتي على المكتب عنده "

ارتفعت نبرة صوتها قليلا " شو متى رح أخلعه "

طلبت بأن أقابلها في مكان ما ، فوافقت وأمهلتني خمس دقائق كي تكون في المكان .

لبست ثيابي بسرعة، قبلت يدي أمي وقلت لها : " ادعي لي "

نظرت إلي أمي متعجبة : " وكأنك ذاهب لمقابلة فتاة "

أجبتها : " مش أي فتاة هاي ملاك "

ضحكت أمي وقامت بالرضا عني .

حينما وصلت كانت جالسة على الطاولة وتأكل، ضحكت حينها وقلت :

- " على حسابي الفطور"

- " بالتأكيد ، مش أنت اللي عازمني "

- "بس حدا بصبح ياكل "

-"نفسي مفتوحة على الأكل، وأصلا ما طلبت شغلات كثيرة "

كنت أنظر إليها وهي تأكل، محتارا كيف يدخل الطعام فمها، كان صغيرا جدا، لكنها تأكل بشراهة، وكأنها لم ترَ طعاما في حياتها، أنهت طعامها ونظرت إلي قائلة :

- " شو بدك تعرف عني ؟ "

- " امسحي اللبنة "

- " أي لبنة ! "

ضحكت وقلت : " على أنفك "

ضحكت حينها بخفة وقالت : " أنا بحب أعمل ماسك لبنة "

أمسكت حينها بصحن اللبنة وطبعته على وجهها، تصرف طفولي لم أدرك حقا لماذا فعلته ؟!

ضحكت بشكل هستيري : " ولك مش هيك "

ذهبت لدورة المياه لتغسل وجهها، أنا حقا نسيت القضايا والمحاماة، وحواء وكل شيء يمت لها بصلة .

حينما عادت سألتها " لماذا تريد خلع زوجها ؟ "

رمقتني بنصف عين مجددا

- " كأنك مش مركز معي " لي مش متزوجة ؟

- " اه خطيبي ومش طايقته "

- " شو السبب طيب ؟ "

- " بدون سبب، بدي أخلعه وخلص "

- لكن لازم تخترعي حجة من أجل المحكمة "

تحدثنا طويلا وفهمت القصة وقررت أن أساعدها، أصبحت أحادثها كل يوم، وكل يوم يزداد تعلقي بها أكثر، لكن لم أكن أشعر بأنها تكن لي أي مشاعر، تتكلم معي برسمية مفرطة كمحامي فقط، بينما كان بودي أن أصرخ وأقول لها بأنني أحبها، جاء موعد جلسة المحكمة، دافعت عنها وكأنها زوجتي، حقا كنت قد حسمت الأمر بأنني سأتقدم لخطبتها، تأجلت القضية لأسبوعين، لكن كانت الجلسة لصالحنا على الأرجح، بعدما انتهت جاء خطيبها وقام بتهديدي وقال : " إذا نجحت هالقضية اعتبر حالك ميت "

أجبته بغضب : " أموت بس أحكي الحق وأكون زلمة "

حصل بيننا بعدها اشتباك بالأيدي، فجاءت حينها وحاولت أن تفكَّ النزاع بيننا ، صرخت بملء صوتِها : " هاد حيوان شو بدك منه "

انتهت المشكلة ، وكان شكلي مضحكا، نظرت إلي وضحكت بصوت مرتفع، قلت : " ما أنا عامل هالطوشة عشاني "

قالت: " ما حدا جبرك تعمل طوشة، يلا اعزمني على الغدا "

تناولنا الغداء سويا ومن ثم قمت بدعوتها لبيت أمي، أحبتها أمي كثيرا وكذلك أخواتي، بدأت أنظر إليها وأتخيل بأنها زوجتي، من المؤسف بأن كل فتاة قد عرفتها كانت تجرحني وتذهب، وأجزم بأنه لا يوجد أقوى من حواء في هذا العالم، ولا يوجد شاب يخدع فتاة عبثا، ربما يكون السبب خيبة أنثى أخرى، لكن لم أكن من أولئك الذين يلعبون بمشاعر الفتيات.

أصررت أن أوصلها إلى بيتها ، اغتنمت الفرصة وسألتها :

- " ما رأيك بالحب ؟ "

- ضحكت " : مجددا "

- " وما العيب بذلك "

- "فرضا أنا وإياك في السيارة وعملنا حادث، بترجع تركب فيها مرة تانية "

- " لا لأنها بتتطحن "

- " لا لأنه يمكن تموت أو أموت أنا ! وهيك الحب , بنحب وبنعشق وبنمشي بهالقصة، وأول ما نتعرض لحادث مستحيل نرجعله, شو بدو يفهمك بهالحكي ما أنت زلمة "

- غضبت حينها " على فكرة أنا ما ضلت بنت بالدنيا إلا خيبتلي أملي فيها , وأنا بكره جنس حوا "

- "يا اطلع من هالبواب، كلكم بتموتو علينا , وبس تملكونا بتتخلو عنا "

بدأت أشعر باليأس وأيقن بأنها تحمل في قلبها حقدا على آدم أكثر من حقدي على حواء، محتار وخائف من أن أحبها أو اكرهها .

جاء موعد الجلسة الثانية، كان أكثر شي صادم في حياتها حينها، كنت متأكدا من نجاح القضية، دخلت المحكمة واثق الخطى ومبتهجا، توقفتُ لوهلة حينما كانت تقف بجانب خطيبها .

لكن قلت في نفسي لعلها تعاتبه !

بدأت الجلسة بسؤال القاضي هل أنتِ متأكدة من قرارك بالانفصال ؟

نظرت في عيوني وقالت : " لا "

شعرت بالصدمة حينها ، وصرخت : " كيف لا "

صرخ القاضي " هدوء هدوء "

- "يا سيدي القاضي في غلط بالموضوع , كانت مش مصدقة تخلعه !"

قالت " لكنني تراجعت ، وأريد البقاء معه "

كان ينظر إلي كنظرات المنتصر، ووددت لو أطرحه أرضا وأوسعه ضربا .

وانتهت القضية بالصلح بينهما !

رأيتها تمسك بيده وتضحك .

نزلت دمعة من عيني لأول مرة على فتاة، كم جعلتني ضعيفا، وشخصا آخر ، هذه أكبر خيبة في حياتي، بعد هذه القضية، أغلقت المكتب، وقررت بألّا أعود للمحاماة أبدا، صرت أذهب لمطعمنا كل يوم، وأطلب الكثير من فطائر اللبنة التي كانت تحبها، كنت أجلس ويشرد ذهني طويلا، أمسك هاتفي المحمول وأحدث نفسي، وأتذكر كيف كنت أقضي الليل أسامرها ونضحك سويا، في يوم ذهبت للمطعم، وجدتها تجلس وحيدة على الطاولة، ويبدو تثاقل الهموم والحزن عليها، وكأنها ليست تلك الفتاة المفعمة بالحيوية والحياة !

أين ذهبت الفرحة والقوة التي كنت أراها في عينيها ؟

سرت نحوها، رأتني رفعت رأسها وقالت : " زعلان مني صح ؟"

- " وشو بفيد الزعل بعد هالشهور"

- " وشو بفيد الحب , بعد هالشهور ! "

- "كيفو زوجك "

- " مات "

- أجبتها مصدوما " مات !"

- "عمل حادث سيارة ومات قبل ما نتزوج"

- " رزان ..أنتي اللي خليتيه يعمل الحادث "

- " أيوه أنا خربت مكابح السيارة وخليته يعمل حادث ويموت، وأنا بكرهه وهو يومها هددني يقتل اخوي، وأنا بحياتي كلها عندي اخوي وبس "

- " صرتي مجرمة يا رزان عشان زلمة ..."

- " لا قضاء وقدر وهوسسس ! "

حضنتها حينها وبدأنا بالبكاء سويا، عرضت عليها الزواج بدون أن تقتلني، فقالت " لا ما بحب الزلام "

- " بس انا بحبك وبدي إياك "

بعد شهرين وافقت رزان على عرضي "

أصبح لدينا ثلاثة أطفال _ سامي، تولين، سارة_

سامي يشبهني كثيرا، لكن في كل مرة يحب فتاة يخيب أملها، وقال لي يوما " في بنت بالروضة بحبها "

نظرت بتعجب " بالروضة وبتحبها وأنت لساتك بالصف الأول بدري يابا على الحب "

-" يابا أنا كل يوم بروح وبعطيها نص مصروفي, وبقسم سندويشتي بيني وبينها "

كنت أحذر بناتي من الحب دائما، لأنني أعلم بأنه إذا تحطم قلب الفتاة ، قد يجعلها تحطم كل شيء يأتي أمامها، ولعلها ستصبح قاتلة أيضا .

ليس دائما الفتيات هن الضحايا في قصص الحب،و لا أنكر بأنهن يفعلن أي شيء ليصلن لمرادهن، لعل من الخيال أن تقتل أحدهم فعلا، لكنها تقتله في خيالها .

في كل مرة نواجه خيبة بالحب، هنالك شيء يتحطم بداخلنا يجعلنا نفقد الإحساس الذي شعرنا به أول مرة، وخلف كل رجل يعبث بقلوب الفتيات، فتاة أحبها بشدة وهجرته ، لكن من الخطأ أن نعاقب الناس بالناس ، المشاعر ليست ملكنا، لكن تصرفاتنا ملكنا وحدنا ، لذلك يجب أن نحكم أنفسنا قبل أي تصرف بالعقل ومن ثم القلب !

وتتلاشى
وتتلاشى خيبتنا
وتتلاشى أحزاننا
وتتلاشى أوهامنا
وتتلاشى غصاتنا
وتتلاشى أحلامنا
وتتلاشى شكوكنا !

كل قصة في هذه المجموعة ليست سوى انعكاس لصورة في خيالي ، أمنحها فرصة لتحلق بعيدا عن الواقع، لإيصاله !

" ولنا في الخيال حياة "